

هل تجنيت على الغزالي؟

للشيخ العلامة السلفي
عبد الرحمن الوكيل
رحمه الله تعالى
أستاذ العقيدة بشعبة الدراسات العليا بكلية الشريعة بمكة المكرمة





رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



هل تجنيت على الغزالي؟!



الطبعة الأولى

١٤٣٢ هـ / ٢٠١١ م

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢٣٤٧٩ / ٢٠١٠م

دار سبيل المؤمنين

للنشر والتوزيع

عين شمس - القاهرة - جمهورية مصر العربية

جوال: ٠٠٢٠١٠٧٦١٠٠٩٩

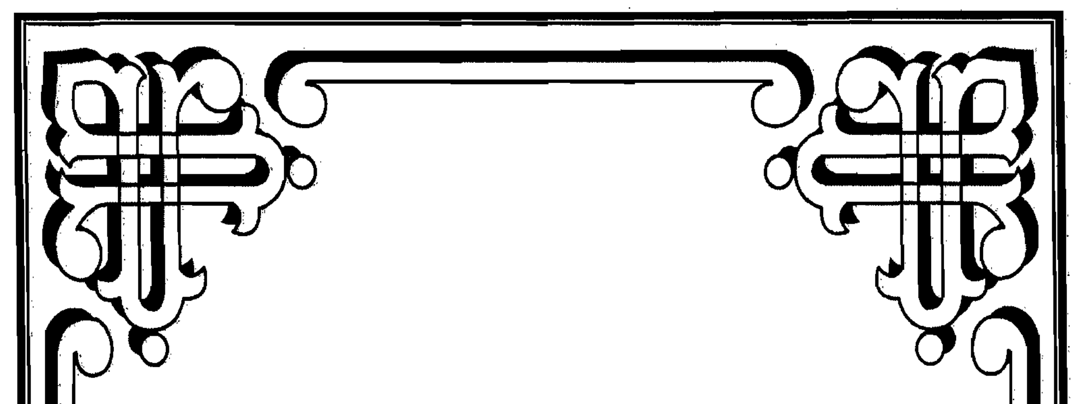
البريد الإلكتروني:

Dar_Sabilelmomnen@yahoo.com

Dar_Sabilelmomnen@hotmail.com

موقعنا على الإنترنت:

www.darsabilelmomnen.com



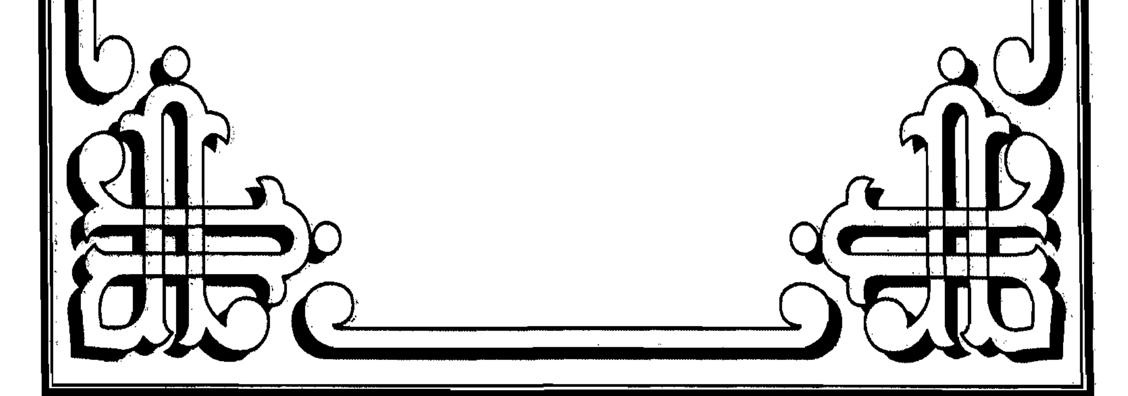
هل تجنيت على الغزالي؟!

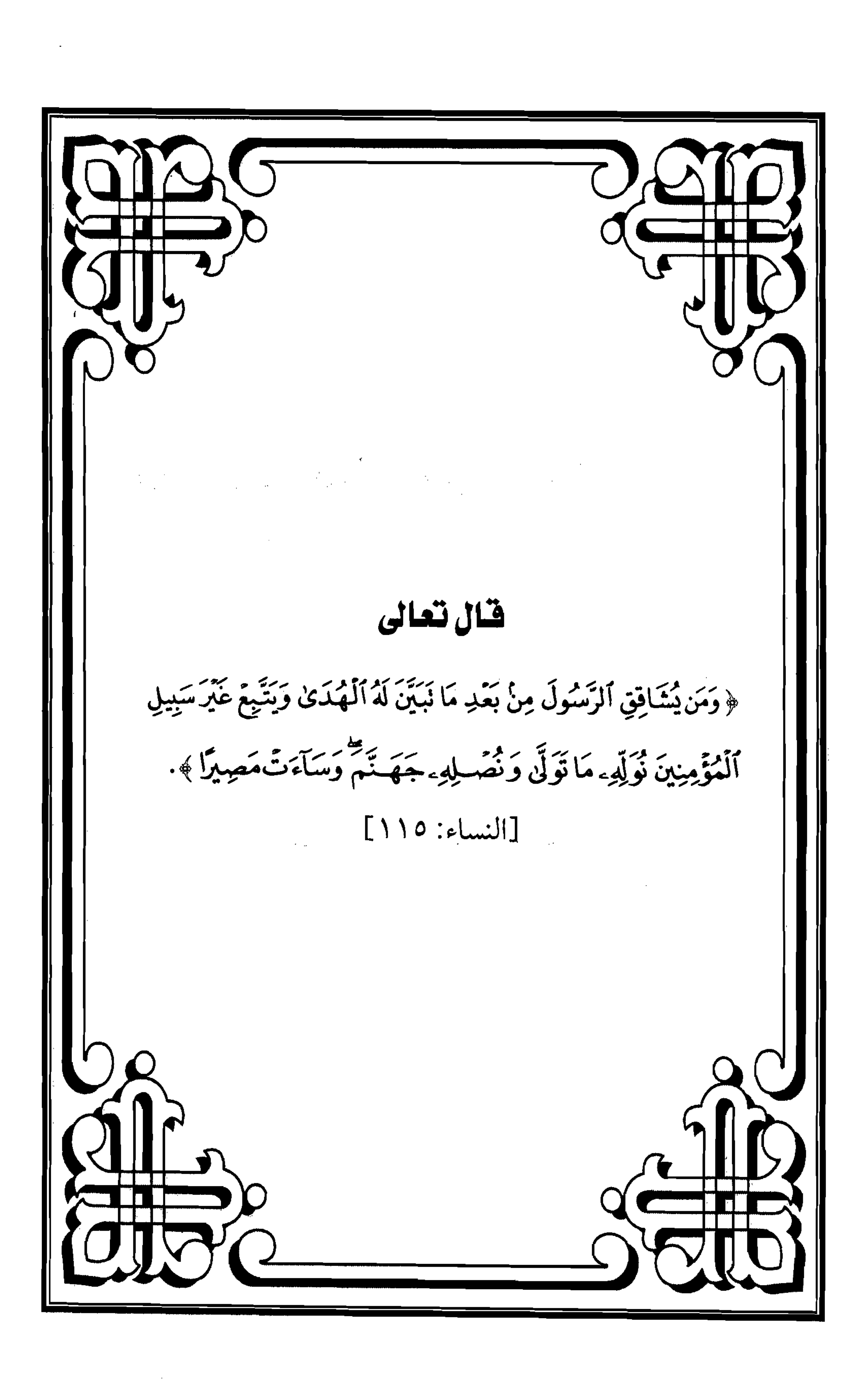
لفضيلة الشيخ العلامة

عبد الرحمن الوكيل

رحمه الله

الرئيس العام لجماعة أنصار السنة المحمدية بمصر
وأستاذ العقيدة بشعبة الدراسات العليا بجامعة أم القرى
بمكة المكرمة





قال تعالى

﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾.

[النساء: ١١٥]



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المعتني

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد...

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

وبَعْدُ:

فإن المتأمل في جهود علماء أهل السنة والجماعة في نشر السنة، والذب عن العقيدة الصحيحة ودعوة الرسل، والرد على من خالف سنة النبي ﷺ، يجد أنها من الأمور التي ينبغي على كل داعية إلى الله على بصيرة أن يعرفها؛ كي يثبت عليها أمام تلك العواصف المتتالية التي يقف من ورائها المرجفون والمدافعون بالباطل

عن البدع وأهلها، سائقهم ودليلهم قواعد لا أصل لها من كتاب الله ولا سنة نبيه ﷺ ولا إجماع أهل العلم، بل هي نتاج تزاوج البدعة مع الجهل المركب.

ومن تلكم القواعد الأخذ والتلقي عن أي شخص، حتىٰ وإن كان من أهل البدع، وحذر من كتاباته العلماء.

هذا الأمر الذي فطن له العلماء قديمًا وحديثًا؛ فكتبوا وبينوا وأوضحوا وحذروا من تلك الطرق الملتوية التي تضر ولا تنفع وتفسد ولا تصلح.

فحرصوا علىٰ التحذير من الأشخاص بأعيانهم، كما جاء عن الإمام ابن بطة رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن ذكر مقالات أهل البدع وطوائفهم فقال:

«هم شعوب وقبائل وصنوف وطوائف، أنا أذكر طرفًا من أسمائهم وشيئًا من صفاتهم؛ لأن لهم كتبًا قد انتشرت ومقالات قد ظهرت، لا يعرفها الغرّ من الناس ولا النشء من الأحداث، تخفىٰ معانيها علىٰ أكثر من يقرؤها، فلعل الحدث يقع إليه الكتاب لرجل من أهل هذه المقالات، قد ابتدأ الكتاب بحمد الله والثناء عليه والإطناب في الصلاة علىٰ النبي ﷺ، ثم أتبع ذلك بدقيق كفره وخفي اختراعه وشرّه؛ فيظن الحدث الذي لا علم له والأعجمي والغمر من الناس أن الواضع لذلك الكتاب عالم من العلماء، أو فقيه من الفقهاء، ولعله يعتقد في هذه الأمة ما يراه فيها عبدة الأوثان، ومن بارز الله ووالىٰ الشيطان.

فمن رؤسائهم المتقدمين في الضلال، منهم: الجهم بن صفوان الضّال.

وقد قيل له وهو بالشام: أين تريد؟ فقال: أطلب ربًّا أعبده. فتقلد مقالته طوائف من الضُّلال، وقد قال ابن شوذب: ترك جهم الصلاة أربعين يومًا علىٰ وجه الشك.

ومن أتباعه وأشياعه: بشر المريسي، والمردار، وأبو بكر الأصم، وإبراهيم بن

إسماعيل بن علية، وابن أبي دؤاد، وبرغوث، وربالويه، والأرمني، وجعفر الحذّاء، وشعيب الحجام، وحسن العطار، وسهل الحرار، وأبو لقمان الكافر، في جماعة سواهم من الضلال، وكل العلماء يقولون في من سميناهم أنهم أئمة الكفر ورؤساء الضلالة.

ومن رؤسائهم أيضًا - وهم أصحاب القدر -: معبد الجهني، وغيلان القدري، وثمامة بن أشرس، وعمرو بن عبيد، وأبو الهذيل العلاف، وإبراهيم النظام، وبشر بن المعتمر، في جماعة سواهم أهل كفر وضلال يعمّ.

ومنهم: الحسن بن عبد الوهاب الجبائي، وأبو العنبس الصيمري.

ومن الرافضة: المغيرة بن سعيد، وعبد الله بن سبإ، وهشام الفوطي، وأبو الكروس، وفضيل الرقاشي، وأبو مالك الحضرمي، وصالح قبة.

بل هم أكثر من أن يحصوا في كتاب أو يحووا بخطاب، ذكرت طرفًا من أئمتهم؛ ليتجنب الحدث ومن لا علم له ذكرهم ومجالسة من يستشهد بقولهم ويناظر بكتبهم.

ومن خبثائهم ومن يظهر في كلامه الذّبّ عن السنّة والنصرة لها وقوله أخبث القول: ابن كلاب، وحسين النجار، وأبو بكر الأصم، وابن علية، أعاذنا الله وإياكم من مقالتهم، وعافانا وإياك من شرور مذاهبهم»[(١)].

وإن من العجب العجاب في زماننا هذا، بل وعبر سائر الأزمنة، أن يسير أقوام خلف أهوائهم رغم وضوح فسادها، وبيان كسادها.

---

(١) الشرح والإبانة، لابن بطة، ص (٣٤٨-٣٥٢).

ومن بين تلك النماذج الإصرار على تداول كتاب «الإحياء» وتمجيد صاحبه:

فيقول محمد مصطفىٰ المراغي في ترجمة أبي حامد: «الخبير بأحوال العالم وخفيات الضمائر ومكنونات القلوب».

ويقول القرضاوي: «ولا يعرف كتاب -بعد القرآن والصحاح- أثر في حياة المسلمين مثله حتىٰ قيل فيه: كاد «الإحياء» يكون قرآنًا».

وقال بعضهم: «من لم يقرأ «الإحياء» فليس من الأحياء»[(١)].

وما زال الكثير والكثير يتواصىٰ به، بل ويجعله عمدته في الأقوال، والأخطر من هذا كله ممن يتكلم منه وعنه وينقل منه باسم منهج أهل السنة والجماعة!!

ولقد كان العلامة عبد الرحمن الوكيل رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أبصر الناس بكتابات الغزالي وفكره ومنهجه الضار علىٰ الإسلام والمسلمين، فكتب وبين وأوضح وكشف كثيرًا من الحقائق الخفية في كتابات الغزالي، وأسفر عن وجهته الحقيقية التي يصر الكثيرون علىٰ التعامي عنها، بل وتغافلها عن عمد، فالله المستعان.

لقد كتب العلامة عبد الرحمن الوكيل رَحِمَهُ ٱللَّهُ موضحًا سبب تحذيره من الغزالي - غفر الله له -:

لماذا نكثر من التحذير من الغزالي؟: لقد ذهب الغزالي إلىٰ ربه، وبقيت بيننا كتبه بدويّها وصيتها الساحر الخلاب الفاتن الذي يعصف بالفكر والقلب، ويصرفها عن التمييز بين الحق والباطل، وبيننا كثير يفتنهم دَوِيّ الألقاب وسحرها، وقد عكفوا علىٰ تراث الغزالي - وهو يحمل أضخم لقب في التاريخ إنه

---

(١) الشرح والإبانة، لابن بطة، ص(٣٤٨-٣٥٢).

حجة الإسلام - عكوف الوثني علىٰ صنمه، وقد يضربون حق القرآن البين بضلالة عفنة سطرها الغزالي في كتبه، والله يفرض علينا أن نأمر بالمعروف وننهىٰ عن المنكر، ولا سيما عن عبادة الطاغوت، ولهذا نحذر المسلمين من هذه الكتب الغزالية التي خلط فيها صاحبها الكثير من الباطل بقليل الأقل من الحق، أما صاحبه نفسه، فهو بين يدي ربه، ونحن نرجو أن يكون قد قدم بين يدي الله التوبة النصوح منها.

إني أعلم أن قولي هذا سيثير ثائرة الذين يرون الغزالي كبيرًا كبيرًا!! ولكني أقول لهؤلاء: إن الله أكبر، وكلمة واحدة من كتاب الله أعز عندنا وأعظم من كل كتب الغزالي، ولا سيما «الإحياء»، وأقول لهم أيضًا: تدبروا تراث الغزالي في هدوء ووعي، ثم قارنوا بين ما في تراثه، وبين أصول الإسلام، وإني لواثق - لو أنكم أخلصتم النية لله - من أنكم سترون حكم ابن تيمية علىٰ كتب الغزالي حكمًا مبسوط العدل والإحسان.

وكنا نعذر الغزالي لو أنه أخطأ في فرع من الفروع، ولكنه تعمد أن يخطئ في الأصول، وأقول: تعمد. وأصر عليها؛ لأنه في كثير من كتبه التي ألفها لعوام المسلمين يقرر هذه الأصول تقريرًا حسنًا صائبًا، غير أنه في كتبه الأخرىٰ يهدم هذه الأصول، ولا سيما أصول التوحيد!!

وقد بسطنا القول في الغزالي دون غيره؛ لأن أَخْذَةَ السحر من صوفيته تستبد بكثير من القلوب وتهيمن علىٰ كثير من النفوس وهذه هي جناية الغزالي الكبرىٰ، فهو كما يقول (جولدزيهر): «قد جعل من الصوفية عنصرًا عاديًّا مألوفًا بالتصوف؛ لكي ينفث في المظاهر الدينية الرسمية الجامدة قوة روحية»[1].

---

(١) ص (١٦٠)، العقيدة والشريعة، ط: أولىٰ.

وهي شهادة رجل يتمنىٰ أن لو سيطرت كتب الغزالي علىٰ العقول الإسلامية؛ لتسدها دون القرآن!!

إنه يقدم لنا الجناية الغزالية في صورة إحسان كريم!! أما الحقيقة فيقولها شيخ الإسلام ابن تيمية عن آراء الغزالي الصوفية التي ذكرها الغزالي في كتابيه «الأربعين» و«المضنون به علىٰ غير أهله»: «إذا طلبت ذلك الكتاب - يعني: المضنون - وجدته قول الصابئة المتفلسفة بعينه، وقد غيرت عباراتهم، وترتيباتهم».

ويقول أيضًا في نفس المكان: «وهو يميل إلىٰ الفلسفة، لكنه أظهرها في قالب التصوف، والعبارات، ولهذا فقد رد عليه علماء المسلمين»[1].

ومن أجل الخلاص من الوثنية نتحمل المسئولية كاملة في هدم هذا الطاغوت الكبير الذي حاول أن يضع في قلوبنا تقديسه وعبادته!! ولا يهمنا أن تصيب طارقات المعول بعض الرءوس الساجدة تحت قدمي الصنم، أو أن يرمينا الناس بما ترمي به الضلالة جلالة الهدىٰ!! اهـ[2].

أقول: سيقول البعض أن الغزالي قد مات وصحيح البخاري علىٰ صدره.

فنقول: نعم، هذا صحيح، ولكن للتوبة شروط وعلامات، هل قام بها الغزالي فبرأ ساحته مما نسب إليه؟

إن من صفة التوبة أن يصلح ما أفسد من الحق والكتمان علىٰ الناس وإلقاء شبهات عليهم، وأن يبين لهم غاية البيان وإزالة الشبه عليهم.

---

(١) ص(٥٢) و(٥٦)، نقض المنطق.

(٢) ص (١٦٠)، العقيدة والشريعة، ط: أولىٰ.

قال الإمام الألوسي في «روح المعاني» (٢/ ٢٨): «﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟﴾ أي: رجعوا عن الكتمان أو عنه وعن سائر ما يجب أن يتاب عنه بناء على أن حذف المعمول يفيد العموم، وفيه إشارة إلىٰ أن التوبة عن الكتمان فقط لا يوجب صرف اللعن عنهم ما لم يتوبوا عن الجميع فإن للعنهم أسبابًا جمة، ﴿وَأَصْلَحُوا۟﴾ ما أفسدوا بالتدارك فيما يتعلق، بحقوق الحق والخلق، ومن ذلك أن يصلحوا قومهم بالإرشاد إلىٰ الإسلام بعد الإضلال، وأن يزيلوا الكلام المحرف ويكتبوا مكانه ما كانوا أزالوه عند التحريف، ﴿وَبَيَّنُوا۟﴾، أي: أظهروا ما بينه الله تعالىٰ للناس معاينة وبهذين الأمرين تتم التوبة، وقيل: أظهروا ما أحدثو من التوبة ليمحوا سمة الكفر عن أنفسهم ويقتدي بهم أضرابهم، فإن إظهار التوبة ممن يقتدىٰ به شرط فيها علىٰ ما يشير إليه بعض الآثار. وفيه أن الصحيح أن إظهار التوبة إنما هو لدفع معصية المتابعة وليس شرطًا في التوبة عن أصل المعصية، فهو داخل في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَصْلَحُوا۟﴾» .اهـ.

قال الإمام القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» (٢/ ١٨٧): «﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟﴾ استثنىٰ تعالىٰ التائبين الصالحين لأعمالهم وأقوالهم المنيبين؛ لتوبتهم، ولا يكفي في التوبة عند علمائنا قول القائل: قد ثبت. حتىٰ يظهر منه في الثاني خلاف الأول، وإن كان مرتدًّا رجع إلىٰ الإسلام مظهرًا شرائعه، وإن كان من أهل المعاصي ظهر منه العمل الصالح وجانب أهل الفساد والأحوال التي كان عليها، وإن كان من أهل الأوثان جانبهم وخالط أهل الإسلام، وهكذا يظهر عكس ما كان عليه».اهـ.

قال ابن كثير في تفسيره (١/ ٤٧٣): «ثم استثنىٰ الله تعالىٰ من هؤلاء من تاب إليه، فقال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟﴾. أي: رجعوا عما كانوا فيه، وأصلحوا

أعمالهم وأحوالهم، وبينوا للناس ما كانوا كتموه» اهـ.

قال محمد بن صالح العثيمين في تفسير سورة «البقرة» (٢/ ١٩٦-٢٠١): (﴿وَبَيَّنُوا﴾ «أي: وضحوا للناس ما كتموا من العلم ببيان معانيه». ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ أي: أصلحوا عملهم؛ لأنه لا يتم البيان إلا ببيان المعنىٰ، ومن فوائد الآية أن توبة الكاتمين للعلم لا تكون إلا بالبيان والإصلاح؛ لقوله تعالىٰ: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا﴾.

قال شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوىٰ» (١٦/ ٢٥): «فالداعي إلىٰ الكفر والبدعة وإن كان أضل غيره فذلك الغير يعاقب علىٰ ذنبه؛ لكونه قبل من هذا واتبعه، وهذا عليه وزره ووزر من اتبعه إلىٰ يوم القيامة مع بقاء أوزار أولئك عليهم، فإذا تاب من ذنبه لم يبق عليه وزره ولا ما حمله هو لأجل إضلالهم، وأما هم فسواء تاب أو لم يتب حالهم واحد، ولكن توبته قبل هذا تحتاج إلىٰ ضد ما كان عليه من الدعاء إلىٰ الهدىٰ، كما تاب كثير من الكفار وأهل البدع وصاروا دعاة إلىٰ الإسلام والسنة، وسحرة فرعون كانوا أئمة في الكفر ثم أسلموا وختم الله لهم بخير». اهـ.

قال الحسن بن عمر بن شقيق كما في «الإبانة» (١٦٥): «كنا عند ابن المبارك إذ جاءه رجل فقال له: أنت ذاك الجهنمي؟ قال: نعم. قال: إذا خرجت من عندي فلا تعد إلي. قال الرجل: فأنا تائب. قال له: حتىٰ يظهر من توبتك مثل الذي ظهر من بدعتك». اهـ.

قال أبو العباس كما في «مجموع الفتاوىٰ» (٧/ ٨٦): «قال تعالىٰ: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ (٨٢)﴾ وقال: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾ وقال: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ

سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَـٰتٍۢ﴾ وقال في القذف: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾ وقال في السارق: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ﴾ وقال: ﴿وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَـٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا ۖ فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمَآ﴾. ولهذا شرط الفقهاء في أحد قوليهم في قبول شهادة القاذف أن يصلح، وقدروا ذلك بسنة، كما فعل عمر بصبيغ بن عسل لما أجله سنة، وبذلك أخذ أحمد في توبة الداعي إلىٰ البدعة أنه يؤجل سنة كما أجل عمر صبيغ بن عسل».

وقال ابن القيم في «مدارج السالكين» (١/ ٣٧٠-٣٧٩): «وليس مقصودنا الكلام في أحكام هؤلاء وإنما المقصود تحقيق التوبة من هذه الأجناس العشرة، فالتوبة من هذا الفسق بإثبات ما أثبته الله لنفسه ورسوله من غير تشبيه ولا تمثيل، وتنزيهه عما نزه نفسه عنه ونزهه عنه رسوله من تحريف ولا تعطيل... فتوبة هؤلاء الفساق من جهة الاعتقادات الفاسدة بمحض اتباع السنة، ولا يكتفىٰ منهم بذلك أيضًا حتىٰ يبينوا فساد ما كانوا عليه من البدعة؛ إذ التوبة من ذنب هي بفعل ضده، ولهذا شرط الله تعالىٰ في توبة الكاتمين ما أنزل الله من البينات والهدىٰ البيان؛ لأن ذنبهم لما كان بالكتمان كانت توبتهم منه بالبيان، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّـٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَـٰبِ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّـٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾.

وذنب المبتدع فوق ذنب الكاتم؛ لأن ذلك كتم الحق، وهذا كتمه ودعا إلىٰ خلافه، فكل مبتدع كاتم ولا عكس، وشرط في توبة المنافق الإخلاص؛ لأن ذنبه بالرِّيَاءِ فقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ ثم قال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ

تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَٱعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾﴾ ولذلك كان الصحيح من القولين أن توبة القاذف إكذابه نفسه؛ لأنه ضد الذنب الذي ارتكبه وهتك به عرض المسلم المحصن، فلا تحصل التوبة منه إلا بإكذابه نفسه؛ لينتفي عن المقذوف العار الذي ألحقه به بالقذف، وهو مقصود التوبة، وأما من قال: إن توبته أن يقول: أستغفر الله من القذف، ويعترف بتحريمه. فقول ضعيف؛ لأن هذا لا مصلحة فيه للمقذوف ولا يحصل له به براءة عرضه مما قذفه به، فلا يحصل به مقصود التوبة من هذا الذنب؛ فإن فيه حقين: حقًّا لله، وهو تحريم القذف، فتوبته منه باستغفاره، واعترافه بتحريم القذف، وندمه عليه، وعزمه على أن لا يعود، وحقًّا للعبد، وهو إلحاق العار به، فتوبته منه بتكذيبه نفسه؛ فالتوبة من هذا الذنب بمجموع الأمرين، - إلى أن قال عند هذه الآية -: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ فذنوب أهل البدع كلها داخلة تحت هذا الجنس، فلا تتحقق التوبة منه إلا بالتوبة من البدع، وأنى بالتوبة منها لمن لم يعلم أنها بدعة أو يظنها سنة، فهو يدعو إليها ويحض عليها، فلا تنكشف لهذا ذنوبه التي تجب عليه التوبة منها إلا بتضلعه من السنة، وكثرة اطلاعه عليها، ودوام البحث عنها والتفتيش عليها، ولا ترى صاحب بدعة كذلك أبدًا». اهـ.

فهل فعل الغزالي ذلك، وكتب وبين ووضح ما في كتاباته من أخطاء وضلالات؟

إن كتابات الغزالي ما زالت مشهورة ومتداولة؛ ولذلك ينبغي بيان ما فيها من طوام وبلايا، والتحذير منها، ومن الغلو في صاحبها - غفر الله له -، وهذه الورقات هي طليعة ما كتبه العلامة عبد الرحمن الوكيل رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان حقيقة منهج

أبي حامد الغزالي، ونحن بصدد جمعها في دراسة كاملة بعنوان «الدرر الغوالي في بيان حقيقة منهج أبي حامد الغزالي»، يسر الله إتمامها.

وليس المقصود بهذا الكتاب طعنًا في أحد، أو نبشًا في ركام الماضي، ولكنه قيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأداء للنصيحة لعموم المسلمين، التي نسأل الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أن نكون من أهلها.

جزىٰ الله العلامة الوكيل رَحِمَهُٱللَّهُ خيرًا علىٰ ما بين وأوضح، وغفر الله للغزالي ما ضيع وأفسد.

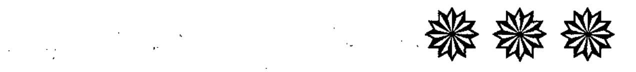
اللهم أرنا الحق حقًّا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه، ولا تجعله ملتبسًا علينا فنضل، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

وكتبه

محمد عوض محمد عبد الغني

ثغر الأسكندرية

صفر ١٤٣٢هـ





ترجمة
الشيخ عبد الرحمن الوكيل رحمه الله

*** اسمه ومولده:**

هو عبد الرحمن بن عبد الوهاب الوكيل، ولد في قرية زاوية البقلي، مركز الشهداء بمحافظة المنوفية بمصر سنة ١٣٣٢هـ، الموافق الثالث والعشرين من شهر يونيو سنة ١٩١٣م.

*** نشأته وتعليمه:**

نشأ الشيخ عبد الرحمن الوكيل نشأة علمية، فقد كان أهل القرىٰ في ذاك الزمان مهتمين بتعليم أبنائهم القرآن الكريم والعلوم الشرعية، فحفظ القرآن في كُتَّاب القرية، ثم التحق بالمعهد الديني في طنطا؛ فدرس فيه تسع سنوات حتىٰ حصل علىٰ الثانوية الأزهرية.

كان والده رحمه الله من حملة كتاب الله، وشيخ البلد في زاوية البقلي، وقد حفظ ابنه الصبي عبد الرحمن (الموطأ) بجانب القرآن، وكان هذا من شروط الالتحاق بالمعهد الأحمدي التابع للأزهر بطنطا.

تخرج من كلية أصول الدين بالأزهر حاصلًا علىٰ الإجازة العالية بتفوق، ثم حصل علىٰ إجازة التدريس.

*** وظائفه:**

عمل الشيخ عبد الرحمن الوكيل أول تخرجه مع وزارة المعارف المصرية؛ فعين مدرسًا للدين بالمدارس الثانوية (التربية والتعليم).

انتدب للتدريس بالمملكة العربية السعودية في المعهد العلمي بالرياض عام ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م.

وفي الستينات انتقل إلىٰ كلية أصول الدين مدرسًا بها.

شغل منصب رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية فرع مصر القديمة، ثم اختير وكيلًا أولًا للجماعة بمصر.

وفي ٢٣ صفر ١٣٧٩هـ الموافق ٢٧/ ٨/ ١٩٥٩ تم انتخابه نائبًا لرئيس الجماعة الثاني الشيخ عبد الرزاق عفيفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ فكان له خير معين.

وترأس تحرير مجلة الهدي النبوي، وكان يكتب التفسير بها حتىٰ توقفت[١].

انتخب رئيسًا عامًّا لجماعة أنصار السنة المحمدية في مصر بعد سفر رئيسها الشيخ عبد الرزاق عفيفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلىٰ المملكة العربية السعودية، وذلك في ١٥ محرم ١٣٨٠هـ الموافق ٩/ ٧/ ١٩٦٠؛ فكان بذلك ثالث رئيس للجماعة بمصر.

وانتخب نائبًا له الشيخ محمد خليل هراس رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

واستمر علىٰ رأس إدارة الجماعة إلىٰ أن أدمجت في الجمعية الشرعية، بعدها انتدب للتدريس بكلية الشريعة بمكة المكرمة، وعمل أستاذًا للعقيدة بقسم الدراسات العليا إلىٰ وفاته بمكة المكرمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

*** مؤلفاته وتحقيقاته:**

من أشهر مؤلفات الشيخ عبد الرحمن الوكيل:

١ - هذه هي الصوفية.

---

(١) توقف رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند تفسير الآية (٥٤) من سورة مريم.

٢- البهائية: تاريخها، عقيدتها، وصلتها بالباطنية والصهيونية.
٣- دعوة الحق. ٤- الصفات الإلهية.
٥- صوفيات. ٦- زندقة الجيلي.
٧- الجيلي وكتابه الإنسان الكامل.
٨- من ضلالات الصوفية.
٩- سيد الخلق ﷺ بشر. ١٠- وسائل التوحيد.
١١- أثر التصوف في العقيدة - ينشر لأول مرة -.
١٢- نظرات في التصوف - ينشر لأول مرة -.
١٣- طواغيت.
١٤- الغزالي عند أهل السنة والجماعة - ينشر لأول مرة -.
١٥- مفتريات.
١٦- حول القاديانية - طبع من قبل وتبقى منه مقالات تنشر لأول مرة -.
١٧- تفسير القرآن: الكهف، مريم، الإسراء - ينشر لأول مرة -.
١٨- مجموع المقالات - ينشر لأول مرة -.
١٩- الصوفية وأثرها في العقيدة - ينشر لأول مرة -.
٢٠- تحذير المسلمين من اتباع سنن السابقين - ينشر لأول مرة -.
٢١- عبر وذكريات - ينشر لأول مرة -.
٢٢- لمحات عن جهاد شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله - ينشر لأول مرة -.
٢٣- ديوان أشعاره - ينشر لأول مرة -.
٢٤- الصفات الإلهية بين السلف والخلف.

٢٥- الشريعة الخالدة لا القوانين البائدة.

أما تحقيقاته وتعليقاته فهي على الكتب الآتية:

١- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، للإمام المحدث عبد الرحمن السهيلي.

٢- إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن قيم الجوزية.

٣- مصرع التصوف، لبرهان الدين البقاعي.

٤- ولاية الله والطريق إليها، لإبراهيم إبراهيم هلال (تقديم).

٥- صراع بين الحق والباطل، سعد صادق.

والشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ كان شاعرًا كثير الإنتاج في الشعر، وكان خطيبًا مفوهًا؛ فمن أشعاره رَحِمَهُ اللَّهُ:

نحن الألَىٰ ديننا حقٌّ، ونحن به ... أسمىٰ الخلائق - مذ كان الورىٰ - دينا

سدنا به قبل ما في الأرض من أمم ... بالحق والعدل نبنيه، فيبنينا

لم نبغ بالفتح تيجانًا، ولا نشبًا ... ولا ممالك بالغلات تأتينا

ولا أناسيَّ نبغيهم لنا ذللًا ... لكن أردنا لدين الله تمكينا

حتىٰ رفعنا لواء الحق منتصرًا ... علىٰ رفيع الذرىٰ والله حامينا

دكت جحافلنا الطغيان، ما خشيت ... زلازل البغي، أو منه براكينا

سل قيصر الروم، سل كسرىٰ وعصبته ... وسل جبابرة كانوا شياطينا

وسل شعوبا لهم كانت مُسَخَّرة ... للجور يلطمهم بالبغي عاتينا

سلهم عن الفاتحين الغر ما صنعوا للعدل كانوا علىٰ حب موازينا
كانوا مشارق إيمان ومعرفة ورحمة لم تذر للبؤس مسكينا
بما دعاهم إليه الله قد عملوا مجاهدين علىٰ شوق، مصلينا
فأرسل النصر يحدوهم بقدرته فأصبحوا السادة الصيد الميامينا
ساروا علىٰ كل أرض رحمة وهدًىٰ وفي سباق العلا كانوا المجلينا

*** ثناء العلماء عليه:**

قال العلامة محمد حامد الفقي رَحِمَهُ اللَّهُ في مقدمة تحقيقه لكتاب نقض المنطق:

ثم وكلت إلىٰ الأخ الفاضل المحقق عبد الرحمن الوكيل - وكيل جماعة أنصار السنة المحمدية - عمل مقدمة له؛ لأنه متخصص في الفلسفة، وله بصر نافذ فيها، وهو من خلصاء شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ.

قال الشيخ محمد علي عبد الرحيم رَحِمَهُ اللَّهُ الرئيس العام السابق لجماعة أنصار السنة المحمدية في مقدمة كتاب دعوة الحق:

كان الشيخ عبد الرحمن الوكيل موفور الحظ من اللغة، وجمال البلاغة، ووضوح المعنىٰ، وسعة الاطلاع، وشرف الغاية، كما جمع علمًا مصفًّىٰ من شوائب البدع والخرافات، وكان حسن اللغة، قليل اللحن، فصيح العبارة، له اجتهاداته الواعية، وكان في ذلك نمطًا فريدًا.

قال الشيخ محمد صادق عرنوس رَحِمَهُ اللَّهُ:

إن أخانا الأستاذ النابغة عبد الرحمن الوكيل، المعروف بين قراء الهدي النبوي

بهادم الطواغيت قد أصبح أخصائيًّا في تشريح التصوف، والإحاطة بوظائف أعضائه، والأستاذ الوكيل يتعلم وينبغ ليُمرِّض، ويكون سببًا في الشفاء.

قال الشيخ صالح بن فوزان الفوزان حفظه الله في كتابه دروس في شرح نواقض الإسلام[(١)]:

«وغلاة الصوفية- وما أكثرهم اليوم – في كتبهم من الخرافات والأكاذيب الشيء الكثير، وقد رد عليهم أهل العلم وأبطلوا ترهاتهم وشبهاتهم، ومن أقوىٰ مَنْ رد عليهم شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله، ورد عليهم جماعة من العلماء المعاصرين كعبد الرحمن الوكيل رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فله كتاب اسمه: «مصرع التصوف».

قال العلامة أحمد بن يحيىٰ النجمي مفتي جنوب المملكة العربية السعودية سابقًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه: المورد العذب الزلال فيما انتقد علىٰ بعض المناهج الدعوية من العقائد والأعمال: «وللشيخ عبد الرحمن الوكيل رئيس أنصار السنة بمصر سابقًا كتاب صغير الحجم عظيم الفائدة، اقتنيته قبل سنوات، ولما قرأته كتبت عليه هذه العبارة، وإني لأعدها من صالح عملي، وهذه هي العبارة: «رحمك الله يا عبد الرحمن، لقد سجلت حقًّا في هذا الكتاب، وكشفت الستر المفتعل علىٰ تلك الأصنام الجوفاء، التي كانت وما زالت بقاياها تقذف أخبث الكفر وأقذره وتزعم أنه عين التوحيد، وتضفي هالة من القداسة علىٰ قائليه الضلال، معتقدين فيهم أنهم أولياء الله في الوجود وخاصته من بين العباد، حتىٰ بين الله أمرهم علىٰ

---

(١) ص(١٨٠) ط مكتبة الرشد.

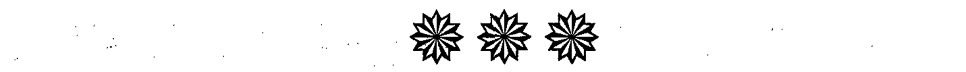
يديك». اهـ.

وإني لأحث جميع طلاب العلم علىٰ اقتناء هذا الكتاب وقراءته واسم هذا الكتاب: (هذه هي الصوفية).

*** وفاته:**

قضىٰ الشيخ عبد الرحمن الوكيل حياته - ولم تكن طويلة - الحافلة بالجهاد في سبيل دعوة التوحيد والتي ختمها إلىٰ جوار البلد الأمين أستاذًا في كلية الشريعة بمكة المكرمة، ومدرسًا في المسجد الحرام إلىٰ أن توفاه الله في الثاني والعشرين من شهر ربيع الأول عام ١٣٩٠هـ، الموافق ١٩٧٠م، ودفن بمقابر المعلاة (الحجون) رحمه الله رحمة واسعة.

وقد ترك ثلاثة أبناء، ابنتان وابن[١].



(١) وهو الأخ ياسر الوكيل رَحِمَهُ اللَّهُ كان من دعاة أنصار السنة بارك الله في ذريته.



ترجمة الغزالي[١]
بقلم
العلامة عبد الرحمن الوكيل رَحِمَهُ ٱللَّهُ

الغزالي: محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي[٢]، كنيته أبو حامد، ولقبه حجة الإسلام، وُلد سنة ٤٥٠ هـ في طوس إحدىٰ مدن خراسان، وقد تتلمذ علىٰ الجويني أيام رئاسته للمدرسة، خرج قاصدًا الوزير نظام الملك في العسكر سنة ٤٧٨هـ لينال الحظوة لديه ويحل محل الجويني، فولاه نظام الملك رياسة مدرسة ببغداد، وبهذا صار الغزالي إمام الأشاعرة في وقته، ولكنه كان يطمع في أن يكون إمام المتصوفة أيضًا؛ فالوزير «نظام الملك» صديق المتصوفة العطوف عليهم، فكيف يصل إلىٰ هذه المرتبة الكبرىٰ؟

لقد هداه تفكيره إلىٰ أمر قد يمهد لهذه المرتبة وقد يؤدي به إلىٰ التمكين له منها؛ فهاجر إلىٰ الشام، وأوىٰ إلىٰ العزلة والخلوة والمجاهدات الصوفية، ومنها السير في القفار وعليه مرقعة، وعلىٰ عاتقه ركوة، ومنها حبس نفسه في منارة مسجد دمشق طيلة النهار، وإغلاق بابها أيضًا علىٰ نفسه، ومن بيت المقدس رحل إلىٰ الحجاز، ثم عاد إلىٰ طوس، وثمت أعلن أن الحقيقة قد تجلت له في هذه الخلوة! أية حقيقة يا ترىٰ؟! أهي الحقيقة الدينية التي دعا إليها القرآن؟

---

(١) كتاب الصفات الإلهية، ص(١٧٩-١٩٠).

(٢) قلت محمد: بالتشديد نسبة إلىٰ صناعة الغزل حرفة أبيه، وبالتخفيف نسبة إلىٰ غزالة قرية بجوار طوس.

إنها لا تحتاج إلىٰ عزلة ومرقعة وركوة، وإنما تحتاج إلىٰ كفاح وجد وتدبر وتقوىٰ، إنه يقصد «الحقيقة» التي يترنم بها الوجد الصوفي، وهي «الوحدة بين الشاهد والمشهود، والوجد والوجود»!!

هذا هو ما يقصده إذ كان يريد زعامة الصوفية!! وإلا فإننا نسأل: لماذا ترك الغزالي بيت المقدس، والصليبية تطرق من بعيد أبوابه؟!

أين جهاد حجة الإسلام في سبيل إنقاذ أرض مقدسة من أرض الإسلام؟ بل أين حتىٰ إثارة حماس المسلمين في سبيل إنقاذ بيت المقدس؟

لا شيء من هذا، فقد كان «حجة الإسلام»!! في شغل بأوهامه وأحلامه، لا بالإسلام، ولا بالقبلة الأولىٰ في الإسلام، ولا بالتفكير في سبيل إنقاذ معقل طهور عظيم من معاقل الإسلام، كان يفكر في صولجان الصوفية، وعمامتها الكبرىٰ، إنه يزعم أنه قد انكشف له في هذه الخلوة أمور لا يمكن إحصاؤها واستقصاؤها، أتراه قد انكشف له أن الصليبيين سيدمرون بيت المقدس وسيحرقون المصاحف فيه، وسيسفكون في ساحاته دماء الخنازير، وأنه مأمور بأن يكتم هذا الذي انكشف له، وبألا يشارك في جهاد الصليبيين، وألا يثير حماس المسلمين في جهادهم ضد الصليبيين؟!

وأخيرًا عاد الغزالي إلىٰ نيسابور ليحل محل أستاذه الكبير «الجويني» في رياسة النظامية، وقد سكنت نزوات نفسه فقد كان بين «الجويني» وبنيه ما بين ذي النعمة وبين من يحسده عليها، ويطمع في أن يرثه فيها كان «الجويني» يرمق تلميذه بالنظر الشزر، ويوحي إليه بهذه النظرات أنه خبير بأطماعه، خبير بما يستهدفه، وكان التلميذ يبادل أستاذه تلك المنح القلبية!!

وهاهوذا قد بلغ إربه من أستاذه، فقد مات الجويني، وأصبح الغزالي هو السيد مكانه، فليعد إلىٰ بلده «طوس».

ويقول بعض المؤرخين: إن «الغزالي» في طوس قد تجلىٰ له زيف علم الكلام، وزيف التصوف، وزيف الجاه الكذوب الذي كان ينشده من تصديه للإمامة الكبرىٰ في الفنين، فهفا إلىٰ القرآن والسنة يتدبرهما في أخريات أيامه، ونرجو أن يكون الأمر كذلك، وقد توفي سنة ٥٠٥ هـ.

وللغزالي كتب كثيرة، وهي علىٰ كثرتها نوعان:

الأول: «المضنون به علىٰ غير أهلها»، وكتب هذا النوع هي الكتب التي سجل فيها الغزالي حقيقة ما كان يعتقده، وإنك لتجد فيها تأييده لبعض الآراء التي كفّر هو بها الفلاسفة في كتابه «التهافت».

أما النوع الآخر: فكتبه التي كان يؤلفها لعوام المسلمين كما يقول هو، وإنك لتجد في هذه الكتب الحكم بكفر من يقول بمثل الآراء التي بثها هو في كتبه «المضنون بها علىٰ غير أهلها».

وحق ما يقول الإمام الجليل «ابن تيمية»: «وهو في «التهافت» وغيره يكفرهم، وفي المضنون به يذكر ما هو حقيقة مذهبهم، حتىٰ يذكر في النبوات عين ما قالوه، وكذلك في الإلهيات».

وما يقوله عن كتاب «المضنون به»: «هو فلسفة محضة، قول المشركين من العرب خير منه، دع قول اليهود والنصارىٰ»[1].

---

(١) ص (٨١، ١٨٩)، كتاب النبوات.

طائفة من المنكرين على الغزالي:

«رد عليه علماء المسلمين حتىٰ أخص أصحابه أبو بكر بن العربي، فإنه قال: «شيخنا أبو حامد دخل في بطن الفلاسفة ثم أراد أن يخرج منها، فما قدر».

وقد حكىٰ عنه من القول بمذاهب الباطنية ما يوجد تصديق ذلك في كتبه، ورد عليه أبو عبد الله المازري - شارح «صحيح مسلم» - في كتاب أفرده، ورد عليه أبو بكر الطرطوشي، ورد عليه أبو الحسن المرغيناني - رفيقه، رد عليه كلامه في «مشكاة الأنوار»[1] ونحوه، ورد عليه الشيخ أبو البيان، والشيخ أبو عمرو بن الصلاح، وحذر من كلامه في ذلك هو وأبو زكريا النواوي وغيرهما، ورد عليه ابن عقيل وابن الجوزي وأبو محمد المقدسي وغيرهم»[2].

وهكذا أجمع أئمة الشافعية والمالكية والحنفية والحنابلة علىٰ تخطئته.

وقد بينت في كتابي «هذه هي الصوفية» موقف الغزالي من التوحيد، وهو موقف نعرفه من الصوفية، ولكنا لا نعرفه من صفوة المسلمين.

سبب ضلالته:

وللإمام ابن تيمية رأي في مأساة الغزالي وسببها، وإليك ما يقوله:

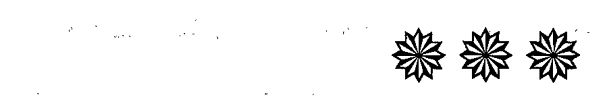
«وسبب ذلك أنه كان قد علم بذكائه وصدق طلبه ما في طريق المتكلمين والمتفلسفة من الاضطراب، وآتاه الله إيمانًا مجملًا - كما أخبر به عن نفسه - وصار يتشوف إلىٰ تفصيل الجملة، فيجد في كلام المشايخ والصوفية[3] ما هو أقرب إلىٰ

(١) تكلمت عنه في كتابي «هذه هي الصوفية».

(٢) ص (٥٦)، نقض المنطق، وانظر ترجمته أيضًا في كتاب طبقات الشافعية الكبرىٰ.

(٣) يعني: الصوفيين العمليين.

الحق، وأولىٰ بالتحقيق من كلام الفلاسفة والمتكلمين والأمر كما وجده، لكن لم يبلغه من الميراث النبوي الذي عند خاصة الأمة، من العلوم والأحوال وما وصل إليه السابقون الأولون من العلم والعبادة، فصار يعتقد أن تفصيل تلك الجملة يحصل بمجرد تلك الطريق، حيث لم يكن عنده طريق غيرها؛ لانسداد الطريقة الخاصة السنية النبوية عنه بما كان عنده من قلة العلم بها، ومن الشبهات التي تقلدها عن المتفلسفة والمتكلمين، حتىٰ حالوا بها بينه وبين تلك الطريقة، ولهذا كان كثير الذم لهذه الحوائل، ولطريقة العلم، وإنما ذاك لعلمه الذي سلكه، والذي حُجب به عن حقيقة المتابعة للرسالة وليس هو بعلم، وإنما هو عقائد فلسفية وكلامية، كما قال السلف: العلم بالكلام هو الجهل، كما قال أبو يوسف: من طلب العلم بالكلام تزندق»[1].



(١) ص (٥٤)، نقض المنطق، وقد نسبها ابن عساكر إلىٰ الشعبي.



مقدمة[(١)(٢)]

في القلق الروحي العاصف، وفي غمرة الشك الحزين كدت أتردىٰ في هاوية التمرد علىٰ الوجود وربه، والثورة علىٰ الدين في حقيقته القدسية تناسمنا منها أرواح السماء، وأوغل الفكر في التيه فإذا لياليه كلها الريب والضلال والتعاسة، وإذا الحق المحض وهم أسطورة باطلة، وإذا الحقائق الروحية العليا في وهم الشريد أكاذيب لجت في دناءة الكذب فهتفت في ضلالتي الحيرىٰ، وفي حيرتي الضالة: يا من سار في شعاب الفكر الحيران؟ أفي بُلَهْنيَة[(٣)] الشباب أتمرد علىٰ ربي؟ يفيض علىٰ الروح من هداه النور فأغمض العين عتوًّا، وألج في غرور الحرية الفكرية؛ فأتنكر للحق وأكفر بالصدق، فأين اليقين الذي يسكن إليه الثائر ويقيل من عثرة العاثر؟

هذه قصة ضال اهتدىٰ، ومشرك وحد، وكافر آمن، أذكر منها أثارة لعل فيها

---

(١) (٥/ ١٣٦٧هـ).

(٢) أرسل لي بعض إخواننا من أنصار السنة نقدًا عفيفًا لما أكتبه عن الغزالي، وأرسل لي آخرون يطلبون زيادة الكتابة عنه، ولما كنت أخشىٰ أن يكون بين القراء من هم كإخواني هؤلاء، فقد كتبت هذا المقال ردًّا كريمًا علىٰ الناقدين وإشباعًا لغرض الطالبين وتجلية للموضوع، وشرحًا لموقف ابن تيمية من الغزالي، إذ يفهم بعض إخواننا أن ابن تيمية كان يحترمه، وكذلك شرحًا لموقف السيد رشيد؟ من دفاعه عن الغزالي ضد ابن تيمية.

(٣) أي في غفلة عن الشر. (ض).

عبرة ولعل فيها عظة...

صحوت علىٰ طفولة مؤمنة؛ لأنها كانت تشعر بفطرتها النقية أن لي ربًّا يرعاني، ويجب أن أحبه، ثم قذفت بي في حمأتها جنة الشباب، فرأيتني أكاد لا أجد ما به أؤمن حتىٰ بحقائق الحس المشهودة، والبدائه العقلية الساطعة، فتلمست الحق فيما بين يدي من كتب كلامية زعم أصحابها أنها تمثل العقيدة الإسلامية في روحيتها وقداستها فإذا بها تأتي علىٰ الرمق الواهي من يقيني الذابل، قرأت في الكتب كل شيء أيد ما ظمئت إليه نفسي من اليقين المطمئن، الجدال الموغل في المحاورة والمداورة والسفسطة التي لا تنتهي إلا بسفسطة؛ أما أن تظفر بحق، أما أن تصل إلىٰ حقيقة، فذلك أبعد من الجنة عن الكافر، وكان من دراستي المقررة الفلسفة[١] فدرست منها ما درست.

فيا لله ما أجمل تصاريف القدر!! من زندقة الإلحاد استهل علي نور الإيمان، ومن ردغة الشرك ناسمتني روح التوحيد، وبين موابق الضلال رأيت سبيل الهدىٰ، وإذا بي أتلو كتاب الله في نهم روحي غامر، وإذا بي أستشعر كأنما أتلوه أول مرة، وما تغير الكتاب، ولكني أنا الذي تغيرت، كانت علىٰ عيني عصابة، وعلىٰ سمعي ختم أصم، فلما رفعا رأيت الحقيقة وسمعت الحق.

قرأت الفلسفة فأيقنت بأن كتب علم الكلام أحاج منها لا تهدف إلا إلىٰ الجدال والمراء، وأيقنت أن الصوفية في نهايتها هي شر ما في الفلسفة من إلحاد وزندقة، وآمنت كذلك وبعد ذلك أن ما في كتب علم الكلام، وما في ضلالات

---

(١) وذلك في شعبة التوحيد والفلسفة من كلية أصول الدين تخصص المادة.

الصوفية لا يمثلان الإسلام في شيء، وآمنت أن الحق والخير والهدىٰ والجمال في كتاب الله؛ آمنت أنه لا يوجد حق لذاته ولا خير لذاته إلا فيما شرع الله وأوحاه إلىٰ رسوله؛ آمنت أن المثل العليا للسمو الإنساني الأعظم إنما هي فيما يدعو إليه القرآن من فضائل، وما يهدف إليه من غايات، آمنت أن هذا الوجود لن يشيع فيه النظام ولن تأتلف فيه الجماعات علىٰ الحب والسلام، ولن تجد فيه الإنسانية المعذبة الحائرة نعيمها وهداها إلا إذا آب الوجود إلىٰ القرآن مستمدًّا من شرعته نظمه وقوانينه، ثم رأيتني - علىٰ قصور في الفكر - أفهم كتاب الله... وكانوا يقولون لي: إن دون فهم كتاب الله وحدك في هذه السن آماد وآباد.. فإذا سمعت اليوم آية من القرآن، أو حديثًا صحيحًا أسلمت لهما يقيني وإيماني دون إعمال الفكر ودون تهويم[1] الروية، فليس أصدق من الله قيلًا ولا من نبيه حديثًا؛ ذلك لأن الفكر - في نهايته - لو اتبع الصراط السوي لوجد الحق وحده، والصدق في إشراقه العلوي في القرآن خلقًا وتشريعًا وعقيدة، ولذا تراني تكاد تخرجني الثورة عن طوري إذا ما قرأت في الكتب التي يدين بها الزاعمون أنهم زعماء الإسلام ما يخالف آية أو حديثًا صحيحًا، وهل يلام الغاضب لدين الله علىٰ غضبه؟

لقد عرفت الشرك فأنا أخشاه، ونجوت من الكفر فأنا أخافه، وكنت في الهاوية فأنا أصرخ ليسمع من سيتردىٰ فيها وهو لا يراها.

كان لا بد من هذه المقدمة لأقول للعاتبين علي من رفاقي الأعزة ما كتبته عن الغزالي: رويدكم بعض عتابكم والمثل العامي يقول: (من لدغته الحية يخاف

(١) التهويم: النوم الخفيف. (ض).

الحبل)، وإني أحذركم من أراقم(١) فتاكة خلتها حبالًا، ومن سموم قاتلة حسبتها قبلكم دسمًا، تلك مفازة موحشة اجتزتها وأخاف علىٰ غيري أن يهلك فيها، ولو قرأ العاتبون من الرفاق الأحبة ما كتب الغزالي لعتبوا علىٰ نفوسهم الطيبة أنهم عتبوا علي.

الرفاق العاتبون:

هم فريقان فريق فهم في الغزالي مفكرًا حرًّا ظلمته بيئته، فهو مجتهد مخطئ في بعض ما اجتهد فيه، وفريق يرىٰ أن الغزالي إمام لا ينبغي لنا أن نهاجمه؛ حتىٰ لا نزيد الناس نفورًا منا نحن أنصار السنة(٢)، وهناك فريق غير عاتب، بل حانق غاضب يلعن الكاتب ومن ينشرون له، وهذا ليس لنا معه من سبيل، وعسير، بل محال أن يجتمع الخلق علىٰ كلمة واحدة... وهناك فريق كنت أحب أن لا أشير إليه حتىٰ لا يظن بي حب الثناء، هذا الفريق يلح في الطلب أن أكتب وأكتب حتىٰ تتحطم هذه الطواغيت.

وقد أشرت إلىٰ هذا تبيانًا لاختلاف الفكر ونسبية الحق بين العقول، وإني في هذا المقال أبين للكرام العاتبين من الأخوة أننا لم نتجن علىٰ الغزالي، وأننا ما اتهمناه بغير ما فيه، ولا بهتناه بغير ما سجل في كتبه، وإني لأحب من إخواني هؤلاء أن يراجعوا ما سجلته علىٰ الغزالي، ولينظروا في كتب الغزالي نفسها، فإن

---

(١) أراقم: حيات، والأرقم من الحيات الذي فيه سواد وبياض. (ض).

(٢) وهل يسمىٰ نصيرًا للسنة من يخاف في تقرير الحق لومة لائم؟

ليس هناك يا قوم حق ونصف حق: ﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ﴾ [يونس: ٣٢]؟

رأوا فيها غير ما كتبته حق علي غضب الله...

وإني في كل ما أنقل عن الغزالي أشير إلىٰ اسم الكتاب ورقم الصفحة والطبعة، حتىٰ يطمئن القلب وتتحقق غاية الأمانة العلمية، فماذا يراد مني غير هذا؟





سبب نقدي للغزالي

سمعت ذات مرة واعظًا يعظ الناس، فكان مما قاله لهم مفتريًا كذوبًا: أن موسىٰ عليه السلام سأل رسول الله ﷺ ليلة الإسراء: أأنت القائل علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل؟ قال: نعم. قال: أرني عالمًا من أمتك هو كذلك. فنادىٰ الرسول: أقبل يا غزالي فأقبل فصدق موسىٰ...

وقرأت في كتاب: (لو كان للإسلام نبي بعد محمد ﷺ لكان هو الغزالي)، وكل امرئ يعرف أن لقب الغزالي: (حجة الإسلام) أمسىٰ لدىٰ الناس أكثر شهرة من اسمه الغزالي، هذه الصورة الفخمة الضخمة التي صورت[1] في عقول الناس للغزالي هي التي دفعتنا إلىٰ نقده، فلماذا؟

فالغزالي عند عابديه كأنبياء بني إسرائيل، وكل قول الأنبياء حق وصدق وإيمان وتشريع إلهي، فسيأخذ المسلمون قوله حجة دامغة! والغزالي كان يكون نبيًّا لو قدر أن يكون للإسلام نبي بعد محمد ﷺ، ورجل هذه مكانته عند الناس فسيكون قوله الدليل الساطع وسبيله هو الصراط المستقيم! والغزالي حجة الإسلام... فكل كلمة ينطق بها فهي الفصل، وكل حكم يقضي به فلا مرد له، وكل تفسير يذهب إليه وقعت عنده العقول ساجدة!

وهذه كتابتنا عن الغزالي دلت علىٰ عزة مكانته وسمو مقامه عند الناس،

---

(١) أو التي صورها لهم أولئك السادة الذين يزعمون أنهم القوام علىٰ دين الله، ودين الله بريء منهم.

فحتىٰ عند رفاقنا الأحبة ذوي الفكر الخالص الحر مازال الغزالي إمامًا يجب أن يصان عن لساني ونقدي.

إن الغزالي أيها الإخوة له خطره وخطورته، فهو حجة الإسلام، وكثير من العلماء يفسرون كتاب الله في ضوء ما يكتب الغزالي ويقرر، بل قد يخضعون الآية لتأويل فاسد ليلائموا بينها وبين ما ذهب إليه الغزالي في كتبه. فالغزالي إذن أخطر رجل في الإسلام وعلىٰ الإسلام؛ لأن زلة واحدة منه تطيح بالكثير، وخطأ واحد منه يودي بالأكثرية، ومن هنا وجب علىٰ كل مسلم أن يبين الخطأ من الصواب، وأن يميز الشر من الخير، وأن يبرز للناس أن الغزالي ما كان للإسلام حجة، بل حتىٰ ولا شبه حجة، وأن ليس للإسلام من حجة إلا كتاب الله وسنة رسوله العظيم، فأنا لا أنقد الغزالي لأنه أبو حامد الغزالي، بل لأنه عند الناس «حجة الإسلام»، إن الخطأ من الغزالي خطيئة، واللمم من الغزالي إثم كبير، والصغيرة منه أكبر الكبائر. لماذا؟

لأنه عند الناس حجة الإسلام، ولو أنني أخطأت ألف خطأ ما وزنت أخطائي كلها عند الحق خطأ واحد من الغزالي.

فعلىٰ قدر مكانتك في النفوس يكون مقدار محاسنك ومساويك والناس تردد (حسنات الأبرار سيئات المقربين) فكيف والغزالي عند الناس هو أول المقربين.

❊ ❊ ❊

هل تغفر للغزالي أخطاؤه؟

يقول بعض الأحبة العاتبين: إننا يجب أن نغفر للغزالي أخطاءه فهو مجتهد أصاب وأخطأ.

كنت أحب هذا يا أخي الكريم، ولكن ياليت كان خطأ الغزالي في الفروع، أو حتىٰ في بعض الأصول، ذلك لأن أخطاء الغزالي في أهم أس بني عليه الإسلام وهو التوحيد(١)، وفي البدائه الأولىٰ التي يفهمها العامي من الإسلام، بل إن الغزالي في كثير من كتبه أنجد واتهم في الغلو الفلسفي الذي يبعد بالنفس بعدًا سحقًا عن الإسلام، فلو كانت أخطاء الغزالي أخطاء مجتهدين لتناسيناها، ولكنها أخطاء رجل غرته الصوفية فسلك سبيلها فشطت به، فإذا بحجة الإسلام يصبح عند الحق حجة علىٰ الإسلام، وحقًّا يجب أن نتغاضىٰ أحيانًا عن أخطاء العلماء، ولكن متىٰ؟

إذا كانت تلك الأخطاء ليست في الصميم الروحي من العقيدة، ليست في الأس الأول، وإذا كانت لا تضر من يعتنقها من ناحية دينه، والغزالي أخطأ فيما يجب أن نتحاشىٰ الخطأ فيه، فوجب حسابه علىٰ قوله، بل إنه - وتلك مكانته في النفوس - يجب أن يحاسب علىٰ أصغر صغيرة؛ لأنه حجة الإسلام!!(٢)

---

(١) انظر ما كتبته أنا عن مراتب التوحيد عند الغزالي، وسيأتي أيضًا أن توحيد الخواص هو: (لا هو إلا هو)، أما (لا إله إلا الله) فتوحيد العوام! ياالحجة الإسلام!

(٢) لأن واجب النصح في الدين فوق كل شخص مهما كان، فعن سعيد بن عمرو البردعي قال: شهدت أبا زرعة وسئل عن الحارث المحاسبي وكتبه؛ فقال للسائل: إياك وهذه الكتب. كتب بدع وضلالات، عليك بالأثر فإنك تجد فيه ما يغنيك عن هذه الكتب.

=

ابن تيمية والغزالي

ويقول أخ طيب كريم هدفه الوصول إلىٰ الحق: كان يجب أن نتسامح مع الغزالي كما نتسامح أحيانًا مع ابن تيمية في أخطائه التي وقع فيها، وضرب مثلًا لذلك (بكتابه الفرقان)... لا يا صديقي لا، وألف مرة لا، فأخطاء ابن تيمية لا تقاس جميعها بجانب غلطة واحدة من أغاليط الغزالي، فالغزالي عند الأكثرين من السادة العلماء هو حجة الإسلام[1]، أما ابن تيمية: فعندهم ملحد مارق زنديق، ومن هنا كان خطر ابن تيمية في خطئه قليلًا، فما لابن تيمية من يغتر به، الغزالي في الأزهر هو الإمام حجة الإسلام، أما ابن تيمية: فيلقبه الدردير الذي تدرس كتبه في الأزهر بأنه ضال مضل، فهل يوجد من هؤلاء من سيعتنق لابن تيمية أخطاءه؟ كلا، بل إنهم ليتمنون خطأً واحدًا لابن تيمية ليرجفوا به ويشنعوا عليه.

وأمر آخر أهم من ذلك كله، أنك تجد كل أخطاء ابن تيمية فيما ليس من العقيدة،

=

قيل له: في هذه الكتب عبرة.

قال: من لم يكن له في كتاب الله عبرة فليس له في هذه الكتب عبرة.

بلغكم أن مالك بن أنس، وسفيان الثوري، والأوزاعي والأئمة المتقدمة صنفوا هذه الكتب والخطرات والوساوس، وهذه الأشياء هؤلاء خالفوا أهل العلم، يأتوننا مرة بالحارث المحاسبي ومرة بعبد الرحيم الديبلي، ومرة بحاتم الأصم، ومرة بشقيق.

ثم قال: «ما أسرع الناس إلىٰ البدع» [تلبيس إبليس صـ(١٦٧)]. (ض).

(١) بل لقد قيل: (كاد الإحياء أن يكون قرآنًا) تطور العقيدة ص (١٦١) جولدزيهر. فتأمل إلىٰ أي حد بلغت الثقة بالإحياء الذي أحرقه فقهاء الأندلس لزيفه.

بل فيما ليس من الدين، وما أخطأ ابن تيمية أبدًا في أصل ولا فرع، اللهم إلا بعض بعض هنات في فروع الفروع من الدين، وأخطاؤه لو اعتنقناها فلن تضرنا في ديننا، بربك قل لي أينقص من دينك شيء لو اعتقدت أن الجن تتجسد وتظهر في صور بعض الناس؟ وهذا هو كل خطإ ابن تيمية[1]، تعال يا أخي وضع كل هذه الأخطاء بجانب خطإ واحد من الغزالي، وهو: أن السالك الصوفي في نهايته يسمع الخطاب كما سمعه موسىٰ، وهذا أهون ما أخطأ فيه الغزالي، أخال أن الأخ الكريم يرىٰ مدىٰ بعيدًا بين الخطأين. أستغفر الله. بل بين خطإ ابن تيمية وخطيئة الغزالي!! ولا تنس أن الأول عند العلماء[2] زنديق، وثانيهما حجة الإسلام فهو مصدق في كل ما يقول... وهل اجتهد الغزالي في دينه؟

لنطالع تاريخه الفكري الذي سجله هو بنفسه في كتابه المنقذ من الضلال، ستجد فيه أنه كان أشعريًّا لأن السلطان كان كذلك؛ ولأنه كان يبغي الجاه والصيت، ثم نجد أنه في النهاية أصبح صوفيًّا، وأنه وجد الحق عند الصوفية، فالغزالي لم يكن

---

(١) للجن قدرة علىٰ التشكل بأشكال الإنسان والحيوان، فقد جاء الشيطان المشركين يوم بدر في صورة سراقة بن مالك فوعد المشركين بالنصر، وفيه أنزل الله: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ...﴾. [الأنفال: ٤٨]

وفي البخاري وغيره أن شيطانًا جاء أبا هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في صورة إنسان وجعل يسرق من طعام الصدقة.

وقد نهىٰ النبي ﷺ عن قتل حيات البيوت خشية أن يكون المقتول جنيًّا كما في حديث أبي السائب الذي رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري في قصة الغلام الأنصاري، وهذا ما أراده شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُٱللَّهُ. (ض).

(٢) يقصد علماء التصوف من أهل الضلال. (ض).

مجتهدًا، بل إنه كان مقلدًا شر تقليد؛ لأنه قلد الصوفية.

قال الغزالي إنه ابتغى الحق في علم الكلام فلم يجده وفي الفلسفة فلم يجده، وأخيرًا وجده في الصوفية، والغزالي نفسه يقول: (ثم تفكرت في نيتي في التدريس فإذا هي غير خالصة لوجه الله تعالى، بل باعثها ومحركها طلب الجاه وانتشار الصيت)(١).

ويقول عن طريق الصوفية: (إني علمت يقينًا أن الصوفية هم السالكون لطريق الله تعالى، خاصة وأن سيرتهم أحسن السير، وطريقهم أصوب الطرق، وأخلاقهم أزكى الأخلاق، بل لو جمعوا عقل العقلاء، وحكمة الحكماء، وعلم الواقفين على أسرار الشرع من العلماء ليغيروا شيئًا من سيرتهم وأخلاقهم ويبدلوه بما هو خير منه لم يجدوا إليه سبيلًا، فإن جميع حركاتهم وسكناتهم في ظاهرهم وباطنهم مقتبسة من نور مشكاة النبوة)(٢) ومن هم هؤلاء الصوفية؟ ياليتهم كانوا ممن كانوا مقيدين بالشرع، ولكن اسمع له: (أقبلت بهمتي على الصوفية، وابتدأت بتحصيل علمهم من مطالعة كتبهم، مثل: قوت القلوب لأبي طالب المكي(٣)، وكتب الحارث المحاسبي، والمتفرقات المأثورة عن الجنيد(٤) والشبلي وأبي يزيد

(١) ص (٢٦) من كتاب: المنقذ من الضلال طبعة المكتبة المحمودية.

(٢) ص (٢٨) المنقذ من الضلال المكتبة المحمودية.

(٣) هو أبو طالب محمد بن علي بن عطية الحارثي المكي، صوفي نشأ واشتهر بمكة، له تصانيف في التصوف، منها: «قوت القلوب»، قال عنه الخطيب البغدادي: ذكر فيه أشياء مستشنعة في الصفات، توفي سنة (٣٦٨هـ). [انظر «تاريخ بغداد» (٣/ ٨٩)، الأعلام (٧/ ١٥٩)]. (ض).

(٤) هو الجنيد بن محمد بن الجنيد، أبو القاسم البغدادي الخزاز، أصل أبيه من نهاوند، يعرف بشيخ الطائفة الصوفية، توفي سنة (٢٩٧هـ). انظر الأعلام (٢/ ١٣٧-١٣٨). (ض).

البسطامي، وغير ذلك من كلام مشايخهم)[١] فالغزالي لم يكن مجتهدًا يا أخي، وإنما كان مقلدًا، ومن أئمته؟ المحاسبي الذي أبىٰ ابن حنبل أن يشيع جنازته!! وأبو يزيد الذي كان يقول: (سبحاني ما أعظم شاني) فهل يجوز لنا بربك يا أخي أن نغتفر للغزالي أخطاءه لأنه كان مجتهدًا.

❁ ❁ ❁

(١) ص (٢٤) من: المنقذ من الضلال طبعة المكتبة المحمودية، أين كتاب الله وسنة رسول الله؟ ألم يجد فيها حجة الإسلام الحق الذي تهتدي به نفسه، فراح يبحث عنه فوجده عند البسطامي والشبلي. أهذا بربكم قول يصح أن يصدر من حجة الإسلام؟



حجة الإسلام

مما يجب أن يكون عليه حجة الإسلام أن يجعل كتاب الله حجته وسنة رسوله هديه، وأن يكون عظيم الفهم لكتاب الله، غير مؤول إياه تأويلًا يخرجه عن حقيقته، بصيرًا بسنة رسول الله رواية ودراية، منافحًا زائدًا عن الإسلام عدوه، هذا أقل ما يجب أن يكون عليه حجة الإسلام، وأظن أن الأخ الحبيب يوافقني علىٰ هذا.

فتعال نشهد أمر الغزالي، فهل جعل كتاب الله حجته؟

كلا، بل حجته كتب الصوفية كما اعترف علىٰ نفسه، هل جعل من سنة الرسول سراجه في الظلمات؟ كلا، بل جعل أساطير الصوفية، هل كان بصيرًا بسنة رسول الله؟ كلا، وهذه كتبه وبخاصة الإحياء مشحونة بالموضوعات والمفتريات، بل إليك شهادة تلميذ من أحبائه عليه وهو: السبكي، إذ يقول في كتابه طبقات الشافعية:

(فالغزالي معروف بأنه لم تكن له في الحديث يد باسطة، وعامة ما في الإحياء من الأخبار والآثار مبدد في كتب من سبقه من الصوفية والفقهاء، ولم يسند الرجل لحديث واحد)[١] وشهد شاهد من أهله، فالسبكي ممن يعترفون للغزالي بأنه حجة الإسلام، وقد شهد عليه تلك الشهادة، فرجل هذا شأنه في معرفته بالسنة، أيجوز لنا أن نجعل منه حجة الإسلام؟

---

(١) (حـ٤/ صـ١٢٧) من طبقات الشافعية، والغزالي نفسه يقر علىٰ نفسه أنه لم يكن جيد البضاعة الحديث، اقرأ مقدمة الأستاذ محمد الخضر حسين لكتاب الإحياء.

فهو صوفي النزعة والتفكير غير بصير بالسنة، غير متخذ كتاب الله حجة له، فهو إذن قد فقد كل خصائص من يجوز له أن يتسمىٰ بحجة الإسلام.

❋ ❋ ❋

رأي ابن تيمية في الغزالي

ولعل الأخ الكريم لم يطلع تمامًا علىٰ حقيقة رأي ابن تيمية في أبي حامد الغزالي، فقال لي يجب أن أكون كابن تيمية في عفة نقده للغزالي ولطفه، فليكن يا أخي، وإليك رأي ابن تيمية في الغزالي: (إنه لم يعرف ما قاله أحمد ولا ما قاله غيره من السلف في هذا الباب، ولا ما جاء به القرآن والحديث)[1]، ويهمنا من هذا أن ابن تيمية ينفي عن الغزالي حجة الإسلام معرفته بالقرآن والحديث ومذهب السلف، فهل قلت أنا مثل هذا؟

وإليك أيضًا ما يقوله ابن تيمية: (كلامه برزخ بين المسلمين وبين الفلاسفة، ففيه فلسفة مشوبة بإسلام، وإسلام مشوب بفلسفة)، ويتابع ابن تيمية في الصفحة نفسها قوله عن الغزالي: (كان يعظم الزهد جدًّا ويعتني به أعظم من اعتنائه بالتوحيد الذي جاءت به الرسل، وهو عبادة الله وحده لا شريك له وترك عبادة ما سواه)[2].

هذا القول صريح غير محتاج إلىٰ تعليق، ولكن تنبه جيدًا إلىٰ تقرير ابن تيمية أن الغزالي كان يعتني بالزهد أكثر من التوحيد!!

أفيجوز ذلك من حجة الإسلام، وإليك أيضًا كلام ابن تيمية: (ذاكرني مرة شيخ جليل له معرفة وسلوك وعلم في هذا، فقال: كلام أبي حامد يشوقك فتسير

---

(١) ص(١٠٢) من تفسير سورة الإخلاص لابن تيمية، طبعة منير الدمشقي.

(٢) ص (٧٩) من كتاب: النبوات، لابن تيمية، طبعة منير الدمشقي.

خلفه، ويشوقك فتسير خلفه منزلًا بعد منزل، فإذا هو ينتهي إلىٰ لا شيء)[(١)].

ويقول في ص (٨٢) من كتاب: النبوات أيضًا: (ولهذا صنف الكتب المضنون بها علىٰ غير أهلها، وهي فلسفة محضة سلك فيها مسلك ابن سينا)، ثم إليك هذا النص في كتاب: النبوات ص(٨١) متحدثًا عن أقوال الغزالي في كتابه المضنون به علىٰ غير أهله: (وهو فلسفة محضة، قول المشركين العرب خير منه، دع قول اليهود والنصارىٰ).

أرأيت إلىٰ ابن تيمية وهو من هو دراية وعلمًا كيف جعل كلام المشركين خيرًا من كلام حجة الإسلام الغزالي؟

وهل قلت أنا يا أخي ذلك؟ ما جرؤت علىٰ أن أقولها كما قالها ابن تيمية الجريء في الحق، المكافح بحق وعزم عن دين ربه، لا يخاف لومة لائم.

ويقول ابن تيمية رضي الله عنه في كتاب الاستغاثة ما يأتي: (وقد ظن بعض من تكلم في الشفاعة علىٰ طريق الفلاسفة كابن سينا وأشباهه أن الشفاعة تنفع لتعلق الشفيع بالمشفوع، وإن لم يكن هناك دعاء من الشفيع، ومشبه ذلك بشعاع الشمس الذي يظهر في المرآة، والمرآة تطرح شعاعها علىٰ الماء، والشعاع الذي علىٰ الماء يظهر في الحائط، وأن العبد إذا تعلق بالملائكة والأنبياء كان ما ينزل عليهم من الرحمة ينزل عليه من ذلك بتوسطهم، كما ينتفع أتباع المتبوع بما يحصل له من الجاه والمنزلة، وهذا الذي قاله هو شر من قول المشركين، وهذه هي الشفاعة التي أبطلها الله ورسوله ﷺ، وابن سينا ذكر هذه الشفاعة جريًا علىٰ منهاج سلفه

---

(١) صحيفة (٨١) من كتاب: النبوات، لشيخ الإسلام ابن تيمية، طبعة مصر.

المشركين الصابئين[١]، وهذا الذي قرره ابن تيمية عن ابن سينا[٢] في الشفاعة، ووصمه بأنه شر من قول المشركين، وأنه جارىٰ فيه الصابئين، وقرر أن هذا ما أبطله الله ورسوله.

أقول: هذا الذي ذكره ابن تيمية قال الغزالي بمثله صراحة، بل يكاد يكون هو بعينه في كتابه المضنون به علىٰ غير أهله، وإليك نص ما يقول الغزالي في الشفاعة مقتديًا بابن سينا.

قال الغزالي الذي هو حجة الإسلام!!: (وأما شفاعة الأنبياء والأولياء فالشفاعة عبارة عن نور يشرق من الحضرة الإلهية علىٰ جوهر النبوة، وينتشر منها إلىٰ كل جوهر استحكمت مناسبته مع جوهر النبوة).

إلىٰ أن يقول: (ومثاله نور الشمس إذا وقع علىٰ الماء، فإنه ينعكس منه إلىٰ موضع مخصوص من الحائط لا إلىٰ جميع المواضع)، ثم يقول: (ومن استولىٰ عليه التوحيد فقد تأكدت مناسبته مع الحضرة الإلهية، فأشرق عليه النور من غير

(١) ص (٦٣) من كتاب: الاستغاثة لابن تيمية ط سنة ١٣٤٦هـ بالمطبعة السلفية.

(٢) هو الحسين بن عبد الله بن الحسن بن سينا البلخي، أبو علي، الفيلسوف الرئيس، ولد سنة (٣٧٠هـ)، توفي سنة (٤٢٨هـ)، له تصانيف علىٰ طريقة الفلاسفة والمتكلمين، كالشفاء والإشارات وغيرهما، قال عنه شيخ الإسلام: «تكلم ابن سينا في أشياء من الإلهيات والنبوات والمعاد والشرائع لم يتكلم فيها سلفه... وإن كان إنما أخذ عن الملاحدة المنتسبين إلىٰ المسلمين، كالإسماعيلية، وكان أهل بيته من أهل دعوتهم، من أتباع الحاكم العبيدي الذي كان هو وأهل بيته وأتباعه معروفين عند المسلمين بالإلحاد» اهـ. [الرد علىٰ المنطقيين صـ(١٤١، ١٤٢)، سير الأعلام (١٧/ ٥٣١ - ٥٣٦)]. (ض).

واسطة، ومن استولت عليه السنن والاقتداء بالرسول ومحبة اتباعه ولم ترسخ قدمه في ملاحظة الوحدانية لم تستحكم مناسبته إلا مع الواسطة، فافتقر إلىٰ واسطة في اقتباس النور كما يفتقر الحائط الذي ليس مكشوفًا للشمس.

إلىٰ واسطة الماء المكشوف للشمس. وإلىٰ مثل هذا ترجع حقيقة الشفاعة في الدنيا، فالوزير الممكن في قلب الملك المخصوص بالعناية قد يغضي الملك عن هفوات أصحاب الوزير ويعفو عنهم لا لمناسبة بين الملك وأصحاب الوزير، لكن لأنهم يناسبون الوزير المناسب للملك، ففاضت العناية عليهم بواسطة الوزير لا بأنفسهم، ولو ارتقت الواسطة لم تشملهم العناية أصلًا[1] هذا هو رأي الغزالي في الشفاعة، وهو يكاد يكون بعينه رأي ابن سينا الذي جعله ابن تيمية شرًّا من قول المشركين والصابئة.

أما وقد تساوىٰ الرأيان، أفليس من العدل أن نطلق علىٰ رأي الغزالي ما أطلقه ابن تيمية علىٰ رأي ابن سينا؟

ولهذا قال ابن تيمية بعد تقريره ذلك في كتاب الاستغاثة ص (٦٤) ما يأتي: (وفي كلام أبي حامد الغزالي في المضنون به علىٰ غير أهله ونحوه ما مشىٰ فيه منهاج ابن سينا، ولهذا اشتد نكير العلماء علىٰ أبي حامد لما في كلامه من أصول الفلاسفة الملحدين) صدق ابن تيمية فقد نقلنا من كتاب: (المضنون به علىٰ غير أهله) للغزالي ما جارىٰ فيه ابن سينا وأضرابه.

يا رفاق العقيدة اقرءوا واقرءوا، ولا يهولنكم أن تروا الغزالي في غير ما صورته لنا الأخيلة الضالة الكاذبة، إننا لن نقدس غير القرآن وهدي النبوة.

---

(١) ص (٢٨ - ٢٩) من كتاب: المضنون به علىٰ غير أهله للغزالي ط سنة ١٣٠٣ هـ بالمكتبة العلامية.

أما الغزالي وغيره فلن نحترم منه غير قول حق أو رأي صدق... غير أن الغزالي كان باطله أكثر من حقه، وكذبه أكثر من صدقه، وإليك ما يقوله فيه تلميذه القاضي أبو بكر بن العربي[1]:

(شيخنا أبو حامد دخل في بطون الفلاسفة، ثم أراد أن يخرج منها فما قدر)، وأبو حامد نفسه كان يقول:

(أنا رديء البضاعة في الحديث)[2] فهل قلت أنا يا رفاقي مثل ذلك؟

إن ابن تيمية فيما طالعت له حتىٰ اليوم أصدق نقدًا للآراء وأعدل وأحكم، وهو فيما حكم به علىٰ الغزالي أصدق الناقدين، لا عن تعصب أو تجن وإنما عن بصيرة دقيقة حكيمة نفاذة الإدراك علوية الإشراق سماوية الإشعاع، فرضي الله عن شيخ الإسلام وأرضاه.

❋ ❋ ❋

---

(١) هو طبعًا غير محيي الدين بن عربي المتصوف، ولهذا سمىٰ المؤرخون القاضي أبو بكر: بابن العربي، وسموا محيي الدين: (ابن عربي) للتفرقة بينهما.

قلت (محمد): هو القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي، إمام من أئمة الفقه والتاريخ ولد بإشبيلية سنة (٤٨٦هـ)، رحل إلىٰ المشرق، ودرس علىٰ الغزالي، وتولىٰ قضاء إشبيلية، وتوفي سنة (٥٤٣هـ). [انظر: الأعلام (٧/ ١٠٦)، وفيات الأعيان (٣/ ٤٢٣)]. (ض).

(٢) نقلًا عن كتاب: موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول المطبوع سنة ١٣٢١ علىٰ هامش منهاج السنة لابن تيمية.

آراء الغزالي

لم يكن الغزالي يثبت علىٰ رأي واحد، بل ينقض اليوم ما يبرمه بالأمس، ويقول في الإحياء مثلًا غير ما يقوله في كتاب آخر له، فمثلًا تراه يقول في كتاب معارج القدس ص (١٧) طبعة الكردي: (صفات الباري كلها اعتبارات وإضافات وسلوب، فليست زائدة علىٰ الذات ولا توجب كثرة في الذات).

وفي كتابه الاقتصاد في الاعتقاد ص (٦٥) طبعة الخانجي يقول: (إن الصفات السبعة - يعني صفات المعاني - ليست هي الذات بل زائدة علىٰ الذات).

فما سر هذا التناقض؟ أو التضارب بمعنىٰ أدق.

كان الغزالي في قرارة نفسه يؤمن بعقيدة أخرىٰ غير ما يظهر للناس، ولهذا ألف كتابًا سماه المضنون به علىٰ غير أهله أودعه أراءه الفلسفية التي يؤمن بها.

ولقد حارب الفلاسفة بكتابه التهافت الذي أثبت ابن رشد(١) تهافته، بينما الغزالي قد آمن بكثير من هذه الآراء التي حاربها، وقد أودعها كتابه المضنون به علىٰ غير أهله، وغير ذلك ألف الغزالي كتبًا أخرىٰ أطلق علىٰ مجموعها المضنون بها علىٰ غير أهلها، أودعها حقيقة رأيه وعقيدته التي يعتنقها، والقارئ لهذه الكتب

---

(١) هو محمد بن أحمد بن شيخ المالكية أبي الوليد محمد بن أحمد بن أحمد بن رشد، ويميز بالحفيد تفريقًا بينه وبين جده، ولد سنة (٥٢٠هـ)، وبرع في الفقه والطب والفلسفة، مات محبوسًا في داره بسبب أقواله الردية أواخر سنة (٥٩٤).

[انظر: سير الأعلام (٢١/ ٣٠٧)]. (ض).

يروعه أشد الروعة أن يرىٰ الغزالي الذي سمي حجة الإسلام فيلسوفًا ينزع في تفكيره إلىٰ تأييد الآراء الفلسفية التي عابها علىٰ الفلاسفة في كتابه التهافت[1]، فلماذا؟ إنه ألف كتاب التهافت طوعًا لأمر السلطان ليهدم به الفلاسفة، فهو لم يؤلفه عن عقيدة أو عن غرض كفاح عن الدين، وإنما ليطيع به أمر السلطان!

أما كتبه المضنون بها علىٰ غير أهلها فألفها لنفسه وللخواص الذين يدينون برأيه، فترىٰ فيها ما يجعلك تؤمن بأن الغزالي كان يؤمن بقدم العالم، وبغير هذا من الآراء التي شنع بها علىٰ الفلاسفة، وما أنا ممن يلقون القول هكذا بل أصرخ بأعلىٰ صوتي، اقرأوا كتب الغزالي المضنون بها علىٰ غير أهلها ثم احكموا... ولا يجوز لنا في عصرنا هذا التقليد في الآراء؛ وكتب الغزالي بين أيدينا فليطالعها من شاء أن يعرف الحق، وبخاصة كتابه المضنون به علىٰ غير أهله ومشكاة الأنوار ومعارج القدس، وسواها من الكتب التي لم يقصد بها الغزالي الجمهور من المسلمين، وإنما قصد بها الخواص الذين يدينون برأيه، فليقرأ الكرام من الرفاق وسيجدون الخير!!



(١) قال أبو بكر بن العربي قاضي إشبيلية: (شيخنا أبو حامد دخل في بطن الفلسفة، ثم أراد أن يخرج منها فما قدر) شرح الشفا لعلي القاري ص (٥٩) ط استنبول.

الغزالي وعبادة القبور

لقد كنت فيما بيني وبين نفسي من قبل أكبر الغزالي عن أن ينحدر إلىٰ هوة عبادة القبور كسادته الصوفية، فلما قرأت له دعوته إلىٰ عبادة القبور كدت أكذب عيني، ولهذا أنقل من كتابه رأيه وأسائل القراء هل يدعو فيها الغزالي إلىٰ عبادة القبور أو لا فإني مازلت أكذب عيني.

ثم إن إخواننا الناقدين لي يكفرون من يتوسل بصاحب قبر، فيا ترىٰ هل سيحكمون علىٰ الغزالي بمثل هذا؟

قال حجة الإسلام الغزالي[1]: (أما التقرب لمشاهد الأنبياء والأئمة عليهم الصلاة والسلام فإن المقصود منه الزيارة والاستمداد من سؤال المغفرة، وقضاء الحوائج من أرواح الأنبياء والأئمة عليهم السلام)، ثم يقول بعد ذلك حجة الإسلام عن نبي الإسلام الأعظم محمد صلوات الله وسلامه عليه: (والتقرب بمشهده ومسجده وبلدته وعصاه وسوطه ونعله وعضادته... موجب للقرب إليه مقتض لشفاعته، فإنه لا فرق عند الأنبياء في كونهم في دار الدنيا وفي كونهم في دار الآخرة إلا في طريق المعرفة، وأما الأحوال الأخرىٰ في التقرب والقرب والشفاعة فلا تتغير، والركن الأعظم في هذا الباب الإمداد والاهتمام من جهة الممد وإن لم يشعر صاحب الوسيلة بذلك المدد، فإنه لو وضع شعر رسول الله ﷺ أو عضادته

(١) ص (٤١) وما بعدها من كتاب المضنون به علىٰ غير أهله للغزالي ط سنة ١٣٠٣ هجرية بالمطبعة العلامية.

أو سوطه علىٰ قبر عاصٍ أو مذنب نجا ذلك المذنب ببركات تلك الذخيرة من العذاب، وإن كان في دار إنسان أو بلده لا يصيب تلك الدار وأهلها وتلك البلدة وسكانها ببركاتها بلاء).

ثم يقول عفىٰ الله عنه!! ولا أدري أمصيب أنا أم مخطئ في تلك الدعوة: (ينفع الموتىٰ أن توضع علىٰ قبورهم المصاحف ويكتب القرآن في قراطيس وتوضع في أيدي الموتىٰ).

الله الله لحجة الإسلام!! يدعونا إلىٰ أن نطلب قضاء الحوائج من قبور الموتىٰ!.

تلك واحدة، ويدعونا إلىٰ أن نطلب غفران الذنوب من الموتىٰ وتلك ثانية...

ويدعونا إلىٰ أن نبحث عن نعال الأنبياء والأولياء لكي نضعها علىٰ قبور موتانا العاصين لينجوا من العذاب وتلك رابعة... ثم خامسة وسادسة ثم مئات من الأخطاء بل الخطيئات...

فما رأي قرائنا الأحبة في هذه الوثنيات الغزالية؟ أهي أخطاء تغفر؟ إنها لم تغفر لي وقت إشراكي، وقيل عني بسببها إنني مشرك وحقًّا كنت كذلك.

فهل لأن الغزالي قالها تغفر له ونعفو عنه؟ آه آه من كيد الشيطان، وآه ما كنت أحسب الغزالي من عباد القبور!!

❋ ❋ ❋



القرآن له ظاهر وباطن

وللغزالي - وهو عند الناس حجة الإسلام - عقيدة صوفية تهدم الإسلام من أساسه وهو أن للشريعة ظاهرًا وباطنًا، تلك عقيدة ابتدعها زنادقة الصوفية ليستحلوا بها الكفر والإثم، وليبينوا أن ليس الإسلام فيما أظهر القرآن، بل فيما وراءه من معان وضعت ألفاظ القرآن رموزًا غامضة عنها. لهذا يقول الغزالي مفتريًا علىٰ رسول الله قوله: (ما من آية من آيات القرآن إلا ولها ظهر وبطن، ولبطنه بطن إلىٰ سبعة أبطن)[١]، (وللقرآن ظاهر وباطن)[٢]، فما دام الغزالي وهو حجة الإسلام يؤمن بهذا، فماذا تريد أكثر من ذلك هدمًا للشريعة؟



(١) ص (٢٨) من مجموعة رسائل الغزالي سميت الجواهر الغوالي ط الكردي.

(٢) ص (١٣٣) من كتاب الجواهر الغوالي ط الكردي.

رأي الشيخ رشيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ

ويذكرني الأخ الكريم بالأستاذ الجليل الشيخ رشيد رضا، وهو من هو علمًا وثقة ومعرفة بكتاب الله، يذكرني بدفاعه عن الغزالي... والشيخ رشيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ وجزاه كفاء ما جاهد من أجل دينه دافع عن الغزالي، ولكن الحق في جانب ابن تيمية لا في جانب الشيخ رشيد.

وهكذا أخطأ الشيخ رشيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في دفاعه عن الغزالي كما أخطأ ابن تيمية في مسألة تشكل الجن، وتقديره لبعض الصوفية و (كفىٰ المرء نبلًا أن تعد معايبه).

ولنضرب لذلك مثلًا في الجزء الخامس من مجموعة الرسائل والمسائل ص (٨٧) يقول ابن تيمية: (ومنهم - يقصد الصوفية - من يزعم أنه حصل له أكثر مما حصل للأنبياء، وأبو حامد يكثر من مدح هذه الطريقة).

علق عليها الأستاذ الكبير الشيخ رشيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: (ولكنه - يعني الغزالي - لم يزعم أنه حصل أكثر مما حصل للأنبياء ولا مثله) فهل هذا صحيح؟

أصحيح أن الغزالي لم يزعم أنه حصل له كما حصل للأنبياء؟

يقول ابن تيمية في نفس الصفحة السابقة: (وأبو حامد يقول إنه سمع الخطاب كما سمعه موسىٰ) هذا القول لم ينفه الشيخ رشيد بدليل أنه لم يعلق عليه بشيء، وهو قول يدل علىٰ أن صاحبه يزعم أنه حصل له كما حصل للأنبياء، وسكوت الشيخ رشيد عن هذا يدل علىٰ أنه يعلم أن الغزالي قال هذا!!

ومما يؤيد كلام ابن تيمية أن الغزالي قال في كتابه الإملاء الملحق بكتابه الإحياء: (لعلك تجد علىٰ النار هدىٰ، ولعلك من سرادقات العز تنادىٰ بما نودي

به موسىٰ: إني أنا ربك)[١] فإذن الغزالي يزعم أن السالك الحقيقي أيضًا يحصل له مثل ما حصل لموسىٰ، ويقول في ص (١٥) من كتاب الجواهر الغوالي ط/ الكردي: (إذا جلست في مكان خال قائلًا بقلبك: الله الله. ظهرت لك أرواح الأنبياء والملائكة، وانكشف لك ملكوت السموات والأرض كما قال الرسول: «**زويت لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها**[٢]»، وكما قال الله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأنعام: ٧٥])، فيقرر الغزالي وصول السالك إلىٰ مقام إبراهيم.

يثبت من هذا أن الأستاذ الشيخ رشيد رضا رحمه الله رحمة واسعة لم يصب الحق في نقده لابن تيمية دفاعًا عن الغزالي، وما شهدت لابن تيمية فيما نقله عن الغزالي وسواه من الصوفية والفلاسفة كذبًا عليهم، بل إنه لأشد تحريًا للصدق في نقوله من الكثيرين جدًّا، والحكم في هذا تتبع ما ينقله ابن تيمية عن الغزالي في كتب الغزالي، وبهذا التتبع نجد ابن تيمية أصدق ما يكون في هذه النقول.



(١) ص (٤٤) طبعة لجنة نشر الثقافة الإسلامية.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب: الفتن وأشراط الساعة، برقم: (١٩/ ٢٨٨٩)، من حديث ثوبان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

الإِحياء... دلائل الخيرات... مجموع الأوراد

في حنو الحب ورقة الرحمة قال لي صاحبي: ويحك يا حامل المعول!! إنما تهدم اللات والعزىٰ ومناة الثالثة الأخرىٰ، ومن حولها عبادها يتلمظ في نفوسهم الحقد الأهوج وتنزو بهم للقتال خصومة رعناء، إنما تثير عليك والله الثائرة التي يؤجج لظاها الشرك ويقذفك بحممها المشركون.

قلت: أعلم ذلك الذي تخشاه، ولكني أعلم قبله أنني مسلم لله ماله ودمه، وفي سبيل العقيدة نضاله وجهاده، ولن يكلفنا ما نحن فيه مالًا ولا دمًا أيها الصديق، تعال معي نشهد قرآن الفجر في أي مسجد شئت، ففي هذه اللحظات الخوالد التي تشرق بنور الله وتفيض بالرحمة القدسية، وتعطرها أرواح الجنة، لا يجد المتصوفة غير صلوات الشرك يبتهلون بها إلىٰ الله، وإلا طقوس الوثنية ينيبون بها إليه، فقرآن الفجر وتبتل الروح في الفجر، وابتهال النفس في محراب العبودية، كل هذا يستمدونه من مصحفهم «مجموع الأوراد»[1]، وما هذا الكتاب إن تصفحته وتبينت ما فيه بالنظرة المؤمنة إلا وساوس من الشرك وهمزات من الشياطين..

وتعال معي نشهد صلاة الجمعة، ففي هذه الأويقات الرفافة بالرضىٰ والخير والحكمة والجمال، والتي تسمو فيها قيم الجماعة الإنسانية، يتلمس الناس نشوة

---

(١) **مجموع الأوراد**: يقصد الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتاب مجموع الأوراد الكبير والأدعية والأحزاب والاستغاثات لمحمد عبد المعطي. ط/ مكتبة النصر، القاهرة.

وهو جمع للأذكار المبتدعة التي يرددها الصوفية كحزب النصر، وحزب البر، وحزب الرحيم، وغيرهم. (ض).

الحس وسكينة النفس في مصحفهم الآخر «دلائل الخيرات»[١].. تراهم وقد رانت عليهم سكرة الموت من خشعات الأرواح يرتلون بالدمع آياته، ويهمسون في أسىٰ اللوعة بدعائه..

وتعال نسأل: أي كتاب هو لدين الله الحجة البالغة والفيصل المبين إذا العقول هامت في متاهة الباطل؟

فسيقولون: كتاب إحياء العلوم، لحجة الإسلام الغزالي[٢].

حسرة عليهم يا حسرتاه؛ إنما سكرت أبصارهم فاشتروا الضلالة بالهدىٰ، والعذاب بالمغفرة، ظنوا في الله غير الحق ظن الجاهلية، أين كتاب الله؟ وأين سنة رسول الله؟

أَوَ ما في الإحياء خير مما في كتاب الله؟ وهل أوراد الطوغيت أملأ بالإيمان من صلوات رسول الله؟ وهل دلائل الخيرات أهدىٰ من دلائل النبوة؟

---

(١) **دلائل الخيرات:** كتاب مليء أذكار وأدعية وصلوات صوفية مبتدعة، وهو من الكتب المعظمة جدًّا عند المتصوفة، وعليه شروح ككتاب «بلوغ المسرات علىٰ دلائل الخيرات» لحسن العدوي المصري، وكتاب «الدلالات الواضحات علىٰ دلائل الخيرات» للنبهاني.

وصاحب الكتاب هو محمد بن سليمان بن عبد الرحمن الجزولي السملالي الحسني المغربي ثم المكي المالكي الشاذلي، من أهل سوسة المراكشية، وله أيضًا حزب الجازولي بالعامية، وحزب الفلاح، ومطالع المسرات بجلاء دلائل الخيرات، وله أتباع يسمون الجزولية، يقال: مات مسمومًا سنة ٨٧٠هـ. الإعلام (٧/ ٢١)، ومعجم المؤلفين (٣٣٣). (ض).

(٢) **قال الدكتور محمد رشاد سالم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** «سمي الغزالي بحجة الإسلام مع أن ثقافته الإسلامية كانت محدودة خاصة في علم الحديث، وكثرة الأحاديث الضعيفة في كتبه عامة وفي الإحياء خاصة، وسجل عليه ذلك أكثر من عالم». صـ(٧) مقارنة بين الغزالي وابن تيمية. (ض).

إن القرآن فيه هدىٰ ونور للنفس الهائمة والروح التائه الشريد، وفيه شفاء لما في الصدور من نوازع النفس ونزوات الحس، فلم لا ينشدون المثل العليا للسعادة والخلود فيما نزل الله؟ يا رحمتا لك يا ابن الخطاب! لم تقرأ ورد السحر، ولا المنفرجة، ولا صلوات ابن مشيش[1]، فما جزاؤك في الآخرة؟!!

أيها المؤلهون لهذه الطواغيت، هذه دعوتنا نتوجه بها إليكم فتعالوا إلينا وفي حصافة العقل الرشيد ولوامع الفكر البصير، وإشراق الحق الإلهي من القرآن؛ نتبين ما في هذه الكتب، فإن يك الخير سارعنا إليه، وإن يك محض الشر والكفر نجونا بالعقيدة من زيغه وبغيه.

تالله ما ندعوكم إلا إلىٰ الغاية العظمىٰ للروح في حياتها الإنسانية، ولن نتجنىٰ علىٰ آلهتكم بمين نفتريه بل سَنَحْتَكِم في كل ما نقول إلىٰ العقل إن كانت لديكم منه أثارة، وإلىٰ القرآن إن كنتم به مؤمنين.

إن دعوتنا دعوة إلىٰ التحرر من عبودية العقيدة لهذه الأصنام، دعوة إلىٰ النور، دعوة إلىٰ الحق، دعوة إلىٰ الله، وقد يتفيهق دعي علم فيقول: وما لك وهذه الكتب فلن تضرنا وكتاب الله بيننا؟

مثل هذا القائل أقول له: إن لهذه الكتب قداستها وجلالتها عند عبادها: فكأن آياتها تنزيل من الله، وكأن ما فيها هو الحق المبين.

إن قولة يقولها الغزالي في الإحياء أشد تأثيرًا علىٰ نفوسهم من آية يهدينا بها القرآن..

---

(١) هو عبد السلام بن مشيش بن أبي بكر، صوفي مغربي، اشتهر برسالته «الصلاة المشيشية»، توفي سنة (٦٩٢هـ). انظر «الأعلام» (٤/ ٩)، معجم المؤلفين (٥/ ٢٣٢). (ض).

هذا ما يدعونا إلىٰ محاربتها؛ بل إلىٰ تشديد النكير عليها حتىٰ يبرأ الناس من وبائها؛ وحجتنا في الذي نستمسك به، هو ما في هذه الكتب نفسها، هو ما سنضعه أمام النظر البصير، والفكر المتحرر من أغلال التقاليد، فلا تكونوا أيها العابدون لها ممن وصفهم الله بقوله: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الزمر: ٤٥].

ضلالات الإحياء[١]:

ألف الغزالي كتابه الإحياء منذ أكثر من ثمانية قرون، فَدَانَ لسلطانه الفكر الإسلامي، وراحت تفهم في ظلاله العقيدة، فإذا عرضت للمسلمين مشكلة دينية تلمسوا الرأي الهادي في كتاب الإحياء، وإذا شاء أي مناظر ديني الغلبة علىٰ مناظره استمد العون من الإحياء، فللإحياء الرأي الأول والآخر في كل أمر ديني، وما زال سلطانه النافذ القوي ينتظم حتىٰ اليوم أكبر جوانب العقلية الإسلامية، وإني - وقد عرضت نفسي لما يخشاه الصديق - لا أبتغي والله غير وجه الحق، فإن ارتأىٰ سواي رأيًا يخالف ما نذهب إليه، فليهدنا برأيه فليس أمام الحق كبير، ولا في الصدق - إذا تبين - مراء، ولن أتعرض لما في الإحياء من أحاديث جلها موضوع، فقد كفانا

---

(١) قال صاحب كتاب: «نظم الجمان فيما سلف من أخبار الزمان» ابن القطان:

«إن كتاب «إحياء علوم الدين» لما وصل إلىٰ قرطبة تكلموا فيه بالسوء وأنكروا عليه أشياء لا سيما قاضيهم ابن حمدين فإنه أبلغ في ذلك حتىٰ كفر مؤلفه وأغرىٰ السلطان به واستشهد بفقهائه، فأجمع هو وهم علىٰ حرقه، فأمر علي بن يوسف بذلك بفتياهم فأحرق بقرطبة علىٰ الباب الغربي في رحبة المسجد بجلوده بعد إشباعه زيتًا بمحضر جماعة من أعيان الناس ووجه إلىٰ جميع بلاده يأمر بإحراقه، وتوالىٰ الإحراق علىٰ ما اشتهر عنه ببلاد المغرب في ذلك الوقت». (ض).

الحافظ العراقي ﷺ مؤنة ذلك، ولن أبين كل ما فيه من ضلالات وشطحات، فوقتي أقصر من ذلك، بل سأشير وأضرب المثل، والله المستعان وهو حسبي ونعم الوكيل.

الغناء بالشعر أعظم من القرآن تصفية للنفس:

سيروع القارئ ما ذكرنا، وربما يتهمنا - قبل أن يطالع الإحياء - بالافتراء علىٰ الغزالي، فمن ذا الذي يصدق أن حجة الإسلام - كما لقبوه - يضرب أول ما يضرب بمعوله حجة الإسلام الخالدة: القرآن، فيزعم في جرأة المستهتر ومكر المتصوف أن الغناء بالشعر أعظم تصفية للنفس من القرآن، أعني بلغة العصر الحاضر: صوت أم كلثوم[1] يصفي النفس حتىٰ ينكشف لها الله أكثر من القرآن، لو أن هذه صدرت اليوم من إنسان لطوّحت بعنقه المقصلة، ولو صدرت من غير الغزالي وهو الملقب بحجة الإسلام لكان.. لكان ماذا؟

والله لا أدري، وقبل أن نبين هذا نذكر تعريف ما يسميه المتصوفة «بالوجد».

يقول الغزالي تعريفًا للوجد[2]: (وارد حق جديد عقيب السماع، يجده المستمع من نفسه، وتلك الحالة لا تخلو عن قسمين، فإنها إما أن ترجع إلىٰ مكاشفات ومشاهدات هي من قبيل العلوم والتنبيهات، وإما أن ترجع إلىٰ تغيرات وأحوال ليست من العلوم).

ويأخذ الغزالي في شرح الوجد وما يحدثه في النفس ما نلخصه في أن الوجد يصفي النفس ويكشف لها الغيب ويمثل لها الحق[3] في صورة مشاهدة؛ هذه

---

(١) يقصد الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ المطربة المشهورة في وقته. (ض).

(٢) الجزء السادس، صفحة (١٧٨)، طبعة لجنة نشر الثقافة الإسلامية.

(٣) دائمًا يعني الصوفية بالحق: الله تعالىٰ.

مكانة الوجد عند الصوفية.

فاسمع ما يقول الغزالي في صفحة (١٨٨) جزء (٦): (اعلم أن الغناء أشد تهييجًا للوجد من القرآن من سبعة أوجه:

الوجه الأول: أن جميع آيات القرآن لا تناسب حال المستمع ولا تصلح لفهمه وتنزيله) ويستشهد الغزالي علىٰ هذا الوجه استشهادًا فيه رائحة السخرية إذ يقول: (من استولىٰ عليه حزن أو شوق أو ندم فمن أين يناسب حاله قوله تعالىٰ: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡ﴾ [النساء: ١١]). فانظر المكر الساخر في استشهاد الغزالي.

وقد أطال الغزالي في شرح السبعة أوجه؛ لهذا نكتفي بتلخيصها هنا:

الوجه الثاني: أن القرآن كلما كرر ضعف أثره وتأثيره في القلوب فيكون الغناء بالشعر أحسن. ويستشهد علىٰ هذا بكذب يفتريه علىٰ الصديق؛ فيزعم أن أبا بكر كان يقول إذا رأىٰ الأعراب يبكون عند سماع القرآن: «كنا كما كنتم ولكن قست قلوبنا»، ويقول: إن التكرار علىٰ قلب أبي بكر بالقرآن جعله قليل التأثر به. وليس لنا تعليق علىٰ زعم الغزالي، فليعلق القارئ بما شاء.

الوجه الثالث: أن الشعر موزون والقرآن غير موزون، والصوت الطيب بالأوزان أشد تأثيرًا في النفس من الصوت الطيب بغير الأوزان.

الوجه الرابع: الغناء بالشعر له ألحان مختلفة وبهذه الألحان يقوىٰ تأثير الغناء علىٰ النفس أكثر من قراءة القرآن الذي لا يجوز فيه التلحين.

الوجه الخامس: أن الألحان الموزونة تعضد بأصوات أخر موزونة، كالضرب بالقضيب والدف وغيره، ومن هنا كان تأثير الغناء أشد تهييجًا للوجد من قراءة القرآن.

الوجه السادس: أن المغني قد يغني ببيت لا يوافق حال السامع فيطلب غيره أما

في القرآن فلا. وهناك وجه سابع أيضًا لا داعي لذكره.

ويقص الغزالي عن يوسف بن الحسين الرازي[١]: أنه سمع بيتين من الشعر فبكىٰ حتىٰ ابتلت لحيته وثوبه، ثم قال لمن غناهما: هذا أنا من صلاة الغداة أقرأ في المصحف لم تقطر من عيني قطرة، وقد قامت القيامة عليّ لهذين البيتين.

يقص هذا من سَمّوه: حجة الإسلام، يقص هذا الغزالي مستشهدًا بما يقص لبهتانه؛ أي مسلم ينطق بالشهادتين فحسب لا يستثير غضبه بل لعنته علىٰ من يزعم أن الغناء بالشعر سبيل إلىٰ تصفية القلب، سبيل إلىٰ مشاهدة الله، وأن التغني بالشعر أنفع وأجدىٰ في تطهير النفس من قراءة القرآن.

أسباب الكشف:

كل صوفي يؤمن بالكشف، بل يزعمون أن الكشف أدنىٰ مراتب الولي، والكشف يحصل بأسباب منها:

(١) التنبيه، وسماع الغناء منبه.

---

(١) هو محمد بن عمر بن الحسين القرشي البكري الرازي فخر الدين، مفسر، فقيه، أصولي، يعرف بابن خطيب الري، ولد سنة (٥٤٤هـ)، من أئمة الأشاعرة الذين مزجوا المذهب الأشعري بالفلسفة والاعتزال، له العديد من المؤلفات، من أشهرها (السر المكتوم في مخاطبة الشمس والقمر والنجوم)، وهو مصنف في جواز عبادة الأصنام.

رد عليه شيخ الإسلام ابن تيمية في عدة كتب منها: كتاب نقض التأسيس، ودرء التعارض، قال الإمام الذهبي عنه: «وقد بدت في تواليفه بلايا وعظائم وسحر وانحرافات عن السنة، والله يعفو عنه، فإنه توفي علىٰ طريقة مرضية» قيل: إنه تاب في آخر حياته» توفي سنة (٦٠٦هـ). [انظر «السير» (٢١/ ٥٠٠)، معجم المؤلفين (١١/ ٧٨)]. (ض).

(٢) ومنها صفاء القلب، والسماع يؤثر في تصفية القلب.

(٣) ومنها انبعاث نشاط القلب بقوة السماع.

إذًا فسماع الغناء أقوىٰ الأسباب عند الغزالي للكشف، فأي كشف هذا؟ إنه عند الغزالي مثل كشف الأنبياء، أما عند الحق فهي وساس الشيطان، أقال الله لنا غنوا لأظهر لكم في مشاهدة، أم قال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾ [الأنفال: ٢].

حسب الغزالي هويًّا إلىٰ أعماق الهاوية أن يزعم أن رؤية الله تحصل بسماع الغناء.

مساواة الولي للنبي في انكشاف الحقائق:

من الصوفية من يفضل الولي علىٰ النبي، إذ يزعمون أن الولي يوحىٰ إليه بلا واسطة أما النبي فبواسطة، وزعيم هؤلاء ابن عربي، وقد تساعدنا بعض النصوص عند الغزالي في أن نفهم أن الغزالي يحوم حول هذا فهو هنا يزعم أن الولي تنكشف له الحقائق كما تنكشف للنبي ولا فرق بين الاثنين إلا في أن النبي كلف بإصلاح الخلق أما الغزالي فلم يكلف به.

يقول في صفحة (٤٥) ج(٨) - في استدلاله علىٰ وقوع الكشف -: (إخبار الرسول عن الغيب وأمور في المستقبل وإذا جاز ذلك للنبي جاز لغيره إذ النبي عبارة عن شخص كوشف بحقائق الأمور وشغل بإصلاح الخلق فلا يستحيل أن يكون في الوجود شخص مكاشف بالحقائق ولا يشتغل بإصلاح الخلق، وهذا لا يسمىٰ نبيًّا بل وليًّا).

من أين استمد الغزالي هذه الضلالة؟ أمن القرآن؟

أم من سنة الرسول الأعظم؟! أي ولي لله أعظم من الصديق؟

فهل انكشفت الحقائق للصديق كما انكشفت للرسول الكريم صلوات الله

وسلامه عليه؟

علىٰ الغزالي أن يثبت هذا، إن الغزالي يثبت أكثر مما نطالبه به، يثبت بقصة أن وليًّا أتقىٰ من عيسىٰ إذ يزعم في (صـ١٥٣/ جـ ٨) أن عيسىٰ عليه السلام مكث يناجي ربه ستين صباحًا لم يأكل فخطر بباله الخبز فانقطع عن المناجاة فإذا رغيف موضوع بين يديه فجلس يبكي علىٰ فقد المناجاة، وإذا شيخ قد أظله فقال له عيسىٰ: يا ولي الله، ادع الله تعالىٰ لي، فإني كنت في حالة فخطر ببالي الخبز فانقطعت عني. فقال الشيخ: اللهم إن كنت تعلم أن الخبز خطر ببالي منذ عرفتك فلا تغفر لي.

ألا يريد الغزالي أن يثبت من وراء هذا أن نبيًّا عظيمًا شغلته عن الله دنياه، وأن وليًّا مجهول الاسم كان أعظم من عيسىٰ تقوَىٰ وتوجهًا إلىٰ الله وفناء في الله؟ ألا يريد أن يقول: إن الولي أتقىٰ من النبي؟ ألا يريد أن يقول: إذا شغل الولي بذكر الله لم يأكل لأنه لا يحس جوعًا أما النبي فقد يشغله الجوع عن ذكر ربه؟!

ليحكم العقل الرشيد والإيمان الخالص علىٰ هذا فما أريد أن أصدع بالحكم.



نقدي للغزالي

قرأت آراء ابن تيمية في الغزالي وآراء غيره ممن دمغوا الغزالي بالهرطقة، وقرأت غير ذلك، فما همست ببنت شفة حين ذلك، إذ رأيت أن لابد من قراءة كتب الغزالي نفسه حتىٰ أكون علىٰ بينة من أمري، فتلوت منه ما أقدرني الله عليه: (كتاب الإحياء، معارج القدس، مشكاة الأنوار، كيمياء السعادة، الرسالة اللدنية، المضنون به علىٰ غير أهله، المنقذ من الضلال).

فرأيت فيها ما يجب أن يؤاخذ عليه الغزالي أشد المؤاخذة، ولعل فيما ذكرت قسوة في اللفظ يغفرها لي أني فجعت في حجة الإسلام، فقد كنت أمعن أن لا يسف هنا الإسفاف كله، ولقد تعمدت في نقدي للغزالي ألا أذكر تلك المواضع التي نقده فيها ابن تيمية مخافة الاتهام بالببغاوية، بل نقدته في كثير مما لم يذكره ابن تيمية، والفيصل في النقد هو أن تراجع ما كتب الناقد في كتب المنقود فإن رأيته صادقًا كان لك تأييده في نقده. وإن وجدته كاذبًا كان لك أن تفعل معه ما تشاء، فليراجع رفاقي الأعزاء نقدي للغزالي، فإن وجدوا فيه أثارة من التجني فليدلوني عليها أكن لهم من الشاكرين.



بعض آراء الغزالي[١]

أثبتنا في مقالنا الذي نشر في العام الماضي عن الإحياء ودلائل الخيرات وفي مقالنا هذا (الوثنية في الصوفية) أن الغزالي يفضل الغناء بالشعر علىٰ القرآن في تصفية النفس، وأن الذرات تسبح ويسمع الأولياء تسبيحها، وأن الله أنطق كل ذرة في مدح الأولياء، وأثبتنا أنه يقول بالاطلاع علىٰ الغيب، وأن السالك ينال ما نال موسىٰ، وأنه وأنه... فليرجع من شاء الوصول إلىٰ الحق إلىٰ ما ذكرنا[٢].

واليوم نذكر بعض آراء الغزالي غير التي مضت.

يقول الغزالي في ص (١٤) من كتابه الجواهر الغوالي: إن القلب له بابان بأحدهما يطلع علىٰ اللوح المحفوظ، ويشبه القلب بالمرآة، واللوح المحفوظ بالمرآة يتقابلان، فينتقش ما في اللوح المحفوظ في القلب، ويقول في ص(١٥) ما نصه: (إذا جلس في مكان خال وعطل طريق الحواس وقال دائمًا: الله الله بقلبه دون لسانه أبصر في اليقظة الذي يبصره في النوم، فتظهر له أرواح الأنبياء والملائكة، وانكشف له ملكوت السموات والأرض، ورأىٰ ما لا يمكن شرحه ولا وصفه كما قال النبي: «**زويت لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها**» وقال الله عز وجل: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأنعام: ٧٥])[٣].

---

(١) (١٠/ ١٣٦٧).

(٢) العدد (١١، ١٢) من السنة العاشرة، والعدد الأول والثاني من السنة الثانية عشرة من الهدي النبوي. [انظر صـ (١١٧) من هذا الكتاب].

(٣) سبق تخريجه.

أرأيت إلىٰ الغزالي يزعم هذا الزعم الباطل، ويقرر أن الإنسان يصل عن هذا الطريق إلىٰ ما وصل إليه الرسول وجده الخليل إبراهيم عليهما الصلاة والسلام؟

يريد منا اعتزال العالم في مكان قفر، مرددين بالقلب الله الله لنصل إلىٰ ما وصل إليه سيد الخلق وإبراهيم عليهما السلام، ومن يقول هذا؟ حجة الإسلام.

وفي ص (١١) من كتاب الجواهر الغوالي يقول مؤولًا للآية: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ معناه: وإنا خلقنا القلب وأعطيناه الملك والعساكر، وجعلنا النفس مركبه حتىٰ يسافر عليه من عالم التراب إلىٰ أعلىٰ عليين)[1].

أرأيت إلىٰ الدقة في التفسير؟! ومن يقول هذا؟ حجة الإسلام؟

ويقول في ص (٢٦): (للقلب عينان يدرك بهما الغيب) والله يقول: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩] ولكن الغزالي يخالف الله، فمن نصدق؟

وفي ص (٣٤) يتحدث عن النفس الطيبة فيقول: (والله يقبل علىٰ تلك النفس إقبالًا كليًّا ويتخذ منها لوحًا ومن النفس الكلي قلمًا ينقش فيها جميع علومه) يالله!! يجعل نفوس عبيده أقلامًا له!! هكذا يقول حجة الإسلام.

وفي ص (١٢٢) يقول: (العارفون بعد العروج إلىٰ سماء الحقيقة اتفقوا علىٰ أنهم لم يروا في الوجود إلا الواحد الحق، فصاروا كالمبهوتين، ولم يبق فيهم متسع لغير ذكر الله، فسكروا سكرًا وقع دونه سلطان عقولهم، فقال بعضهم: أنا الحق، وقال الآخر: سبحاني ما أعظم شأني، وكلام العشاق في حال السكر يطوىٰ ولا يحكىٰ).

بالله اقرأ هذا يا أخي وما بعده من الكتاب لترىٰ كيف يعتذر الغزالي حجة

(١) أليس في هذا تحريفًا للكلم عن مواضعه؟!

الإسلام عن زنادقة الصوفية في زندقتهم؟!!

وفي ص (١٢٥) **يقول:** (لا إله إلا الله توحيد العوام، ولا هو إلا هو توحيد الخواص). والرسول يقول: «**أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله**»[(١)] والله يقول: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩] ولم يقل: لا هو إلا هو. أتريد أن تعرف معنىٰ لا هو إلا هو؟ ارجع إلىٰ مقالي عن مراتب التوحيد عند الصوفية[(٢)]، تجد فيه ما يجعل الغزالي بقوله هذا من النافين للإثنينية في الوجود، بمعنىٰ أن الوجود الإلهي عندهم وسواه وجود واحد.

وفي ص (١٤٠) **يقول:** (إن الله تعالىٰ متجل في ذاته بذاته لذاته) فما معنىٰ تجلىٰ الله في ذاته؟ وما معنىٰ تجليه لذاته؟ آه يا غزالي منك أفصح عن عقيدتك أفصح، إنك من أرباب وحدة الشهود.

وفي ص (١٤٢) يتحدث عن المحجوبين، فيقول عن عبدة الأوثان: (هؤلاء محجوبون بنور العزة والجمال من صفات الله وأنواره).

وعن عباد الأشجار ص (١٤٣): إنهم محجوبون بنور الجمال مع ظلمة الحس).

ويقول عن عباد النار: (وهؤلاء محجوبون بنور السلطنة والبهاء وكل ذلك من أنوار الله تعالىٰ).

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٨٥)؛ من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٢٧٤).

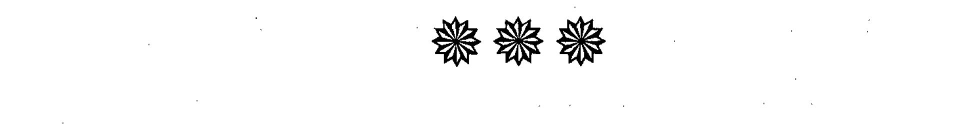
(٢) العدد الثاني عشر من السنة الحادية عشر من مجلة الهدي النبوي. [انظر ص(١٢٣) من هذا الكتاب]

ويقول في ص (١٤٣) عن عباد النجوم: (هؤلاء محجوبون بنور العلو والإشراق والاستيلاء، وهي من أنوار الله تعالىٰ).

أرأيت إلىٰ حجة الإسلام كيف يعبر عن أحط ما تقذرت به النفس من شرك ووثنية إنه بسبب حجب من نور العزة أو البهاء أو الاستيلاء من الله؟

أيقول هذا مسلم، فضلًا عن حجة الإسلام؟

ومن شاء زيادة فليقرأ مشكاة الأنوار للغزالي، وليقرأ كتاب الدكتور عبد الدايم أبو العطا البقري: (اعترافات الغزالي) فقد دمغ الغزالي بالنفاق والرياء وغيرهما، وليقرأ كتاب الحقيقة في نظر الغزالي، للأستاذ سليمان دنيا مدرس التوحيد والفلسفة في كلية أصول الدين.





خاتمة

مما قدمت أظن، بل أوقن أن العاتبين من كرام الإخوة سيعتقدون معي أنني ما تجنيت علىٰ الغزالي، وأن زلات الغزالي لا تغفر لأمرين: لفهم العامة فيه، والمسمين بالعلماء أنه حجة الإسلام، ولأنها بذاتها كبيرة كبيرة، لا يعفىٰ عنها، ونحن في حاجة إلىٰ النظر الثاقب فيما خلف الماضون من تراث ديني، حتىٰ نصحح بعض القيم التي سجلها التاريخ لأناس ثبت أنهم لا يستحقون تلك القدسية التي أضفاها عليهم التاريخ المضلل.

نحن في حاجة إلىٰ تصحيح القيم الفكرية والذاتية؛ يجب أن لا نجعل القيمة الحقة إلا لكتاب الله وسنة رسوله، وعلىٰ ضوئهما يجب أن نسير، وبهداهما يجب أن نقتدي، لا بالغزالي، بل ولا بابن تيمية. أفرضيت يا أخي؟

وإني فيما أكتب لا أبتغي إلا التحذير حتىٰ لا يقع غيري فيما كنت مترديًا فيه، فمثلي مثل من كان في حمأة قذرة نجاه الله منها كُتِبَ علىٰ بابها أنها مسجد لله، فأنا أنادي: يا قوم، إنها للشيطان مباءة، وللهوىٰ معبد...

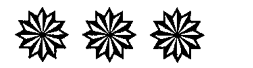
إني شربت من سموم الزندقة ما كان يقدم لي في كاسات من البلور كتب عليها رحيق من الجنة؛ فأنا أخشىٰ علىٰ غيري أن يتعاطاها، فلا تغضبوا لإنسان أيها الرفاق، بل ليكن غضبكم للحق من دين الله وحده، ولتكن قلوبكم مشرقة بهدي الله ورسوله، ولا يهولنكم أن نحطم معًا تلك الطواغيت الوهمية، واسمعوا قول الله: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا

خَـٰلِدُونَ ﴾ [البقرة: ٢٥٧] فلن نتخذ لنا وليًّا من دون الله، ولن نغضب لامرئ نتقده مهما عزت مكانته إذا وجدنا من حديثه ما يخالف كتاب الله وهدي رسول الله، ولا سيما أولئك الذين اغتر بهم التاريخ وخلع عليهم ألقاب القدسية والتمجيد.

جعلني الله وإياكم ممن يتخذون الله وليًّا، ومن الذين إذا سمعوا قول الله آمنوا به وصدقوا به: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١] وإني أجعل كتاب الله حكمًا بيني وبينكم فيما ذكر الغزالي، فإن وافق قوله القرآن والسنة آمنت معكم، وإن خالفهما حقت عليكم كلمة الحق، بل حتىٰ لو خالف قوله القرآن والسنة مخالفة هينة كنت معكم.

وسترون أن بين ما يقرر القرآن والسنة وبين ما يقرر الغزالي بُعْد المشرقين، بل بُعْد ما بين الطيب والخبيث.

ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين.



تعقيب ورد

وصلتني رسالة من الرجل الطيب الكريم السيد عبد الرحمن الجمجموني عنوانها: (نعم تجنيتَ علىٰ الغزالي)، وكنا والله نود يا سيد عبد الرحمن نشرها بتمامها لولا أن المقام ضيق، غير أنا سنلخص ما جاء فيها تلخيصًا دقيقًا[١] جدًّا.

أولًا: نعىٰ الأستاذ علىٰ القراء أن أحدًا منهم لم يدافع عن الغزالي.

ثانيًا: نبهه إلىٰ ذلك هذا الثناء الكريم الذي تفضل به مشكورًا، أخي في الله محمد خوجه، ونشرته المجلة والله دون علمي...

ثالثًا: أعد العدة ليرد علي، لعله يؤدي حق الله فلا يكتم العلم.

رابعًا: يقول عن مقارنتي بين الغزالي وبين ابن تيمية، أنني نزهت ابن تيمية عن الخطإ إلا عن القول بتجسد الجن...ويقول إنه يفوض ذلك لحضرات القراء، ولا يحب أن يكون نباشًا عن عورات الناس. ويقول: إنني ثنيت بالغزالي وكِلْتُ له الأخطاء الدينية جزافًا، وأنه كان يجد لكل ما ظننته خطأ مخرجًا ولو بحسن النية.

وبيت القصيد من رسالة السيد عبد الرحمن الجمجموني هو قوله: إنه عجب أشد العجب حين قرأ لعبد الرحمن الوكيل[٢] كلامًا عن الغزالي نقله من الجواهر الغوالي للغزالي، هو أنه كان يقول: لا هو إلا هو توحيد الخواص، ولا إله إلا الله

(١) سيرىٰ صاحب الرسالة أننا لم نترك منها غير المقدمة التي ليس لها صلة بالموضوع، أما حججه كلها فنشرتها، وأعتقد أنه معي في ذلك.

(٢) لقبنا الأخ بلقب كريم.

توحيد العوام. وعجب إذ فسرته بأن معناه أن الغزالي من القائلين بوحدة الشهود...

هذا ملخص حديث الأخ الجمجموني، ثم يعقب علىٰ هذا بما نصه: (وإذا بكرامة القطب الغزالي[1] تدفعني إلىٰ كتاب تفسير الفخر الرازي، فتناولت الجزء الأول منه... وإذا بي أنظر في ص(١١٢) ما نصه بين قوسين الفصل التاسع الأسماء الحاصلة لله تعالىٰ من باب الأسماء المضمرة، اعلم أن الأسماء المضمرة ثلاثة: أنا وأنت وهو إلخ. ثم أثبت أن الله تعالىٰ ذكر بكل اسم منها وأطنب في فضل الذكر باسم هو، إلىٰ أن قال في أواخر ص (١١٧) ما نصه: (ومن لطائف هذا الفصل أن الشيخ الغزالي - رحمة الله عليه - كان يقول: لا إله إلا الله توحيد العوام، ولا إله إلا هو توحيد الخواص، ولقد استحسنت هذا الكلام وقررته بالقرآن والبرهان).

ثم يستحلفني الأخ أن أطلع علىٰ تفسير الفخر الرازي، لأقتنع بأن الغزالي كان يقول: لا إله إلا هو توحيد الخواص، وأنه لم يقل: لا هو إلا هو كما نقلته أنا عن الجواهر الغوالي قبل ذلك... يريد الكاتب من هذا أن يخلص إلىٰ أن كلام الغزالي حرف، وأن الغزالي تبعًا لهذا لا يمكن أن يوصف بأنه من أرباب وحدة الشهود، ثم ينصحنا الأستاذ الكريم بترك هذه المواضيع، ولأستعمل (ذهني الوقاد، وقلمي النافع، وفكري السيال[2] في منع السفور والمنكرات الفاشية).

---

(١) ما زال في المسلمين من يعتقد بمثل هذا؛ وأية كرامات للغزالي أيها السيد الكريم؟ ولماذا لا تقول: إن نفسك وتعلقها بالغزالي هي التي قادتك إلىٰ قراءة ما قرأت بدل أن تنسب إلىٰ (القطب الغزالي) ذلك، وستعرف قريبًا إن شاء الله من هو القطب يا سيدي.

(٢) نفس أوصاف السيد عبد الرحمن في رسالته، وهي أوصاف ليس لنا منها شيء، ولكني أثبتها هنا لعلها تنفع يومًا، وشكرًا جزيلًا أيها الأخ الكريم.

هأنذا لخصت رسالتك يا سيد عبد الرحمن ونشرتها بنفسي حتىٰ لا تصدق ذوي الظن الآثم من أننا لا ننشر ردودًا علىٰ المحررين، كلا يا أخي، إنما نرحب بكل نقد بريء نزيه، نرحب بقول الحق والصدق، نرحب بالنية الطيبة التي تستهدف الخير في الدين والحقيقة في روحيته السماوية.

والآن هل يسمح لي السيد عبد الرحمن بالتعقيب علىٰ حديثه؟

أما قولك: أنني حصرت خطأ ابن تيمية حصرًا مؤكدًا في تجسيد الجن، وأنني نزهته عن الخطإ فيما سوىٰ ذلك فهذا لم يكن، ولكني أقول: إن آلاف الأخطاء لابن تيمية إذا قيست بخطإ واحد من أخطاء الغزالي في العقيدة، كان خطأ الغزالي أشد وأذهب في الخطيئة من أخطاء ابن تيمية، والمنزه عن الخطإ وحده هو الله العلي الكبير، أما البشر جميعًا فيعتريهم الخطأ، فكيف أنزه ابن تيمية؟

غير أن أخطاء ابن تيمية لا تمس العقيدة ولا الدين في صميمه، وإنما هي في بعض الفروع، أما أخطاء الغزالي فخطايا.

وتفيد رسالتك أنك تعلم لابن تيمية أخطاء كثيرة، فهلا تفضلت مشكورًا، فبينت لنا هذه الأخطاء؟

أما النقل الذي فرحت به والذي جعلك تشرع القلم دفاعًا عن الغزالي، فهو نقل غير كامل، ذلك لأن الرازي إنما نقل شيئًا وترك أشياءً وأشياءً، وأنا يا أخي حين نقلت عن الجواهر الغوالي، إنما نقلت نقلًا صحيحًا ثابتًا، ولم أرد التطويل فيما نقلت، وإليك كلام الغزالي بتمامه من كتابه الجواهر الغوالي من الفصل المعنون بمشكاة الأنوار ص (١٢٤) ط أولىٰ سنة ١٩٣٤ للكردي يتحدث عن نور الأنوار وهو الله كما ذكره: (الكل من نوره بل هو لا هوية لغيره إلا بالمجاز، فإذًا لا نور إلا

هو وسائر الأنوار أنوار من الوجه الذي ثليه لا من ذاتها فإذا لا إله إلا هو فإن الإله عبارة عما الوجوه مولية نحوه بالعبادة والتأليه أعني: وجوه القلوب فإنها الأنوار والأرواح، بل كما لا إله إلا هو، فلا هو إلا هو، فإن هو عبارة عما إليه الإشارة، وكيفما كان فلا إشارة إلا إليه، بل كلما أشرت فهو بالحقيقة الإشارة(١) إليه، وإن كنت لا تعرفه أنت لغفلتك عن حقيقة الحقائق التي ذكرناها، ولا إشارة إلىٰ نور الشمس بل إلىٰ الشمس، فكل ما في الوجود فنسبته إليه في ظاهر المثال كنسبة النور إلىٰ الشمس(٢)، فإذا لا إله إلا الله توحيد العوام، ولا هو إلا هو توحيد الخواص(٣)، لأن ذلك أعم وهذا أخص وأشمل وأحق و أدق وأدخل بصاحبه في الفردانية المحضة والوحدانية الصرفة، ومنتهىٰ معراج الملائكة مملكة الفردانية، فليس وراء ذلك مرقاة إذ الرقي لا يتصور إلا بكثرة، فإن نوع إضافته

---

(١) ليلتفت قراؤنا الأعزة إلىٰ هذا النص الهام جدًّا من كلام الغزالي وليتدبروا معناه وهدفه.

إن الغزالي يريد قولة الصوفية: ما في الوجود إلا الله، وكل شيء هو الله لا فرق بين الخلق والخالق ولا بين الموجود وواهب الوجود (كلما أشرت فهو بالحقيقة الإشارة إليه) أفصح الغزالي عن هدفه... ولكنا نسأله ألا نشير أحيانًا إلىٰ الحجر، إلىٰ الصنم، إلىٰ الكلب، إلىٰ الخنزير؟ فكيف تكون الإشارة يا غزالي؟ وهل يرضيك يا سيد عبد الرحمن؟

إن الغزالي بهذا قد أدلىٰ بدلوه مع ابن عربي وسواه من القائلين بوحدة الوجود.

(٢) هذا المثال يجعل الغزالي من القائلين بنظرية الفيض الأفلاطوني، ويا لها من نظرية!! إنها نوع من وحدة الوجود تجعل العالم صادرًا عن الله بالوجود لا بالاختيار، وتنكر الخلق أي: أن الله خلق العالم.

(٣) هذا هو الصحيح من كلام الغزالي ويفسره ما بعده من الأساطير.

يستدعي ما منه الارتقاء وما إليه الارتقاء، وإذا ارتفعت الكثرة حقت الوحدة وبطلت الإضافة وطاحت الإشارة[١]، فلم يبق علو ولا سفل، ولا نازل ولا مرتفع فاستحال الترقي واستحال العروج، فليس وراء الأعلىٰ علو ولا مع الوحدة كثرة) إلخ.

لقد كنت أنا مخطئًا يا سيد عبد الرحمن حين وصفت الغزالي بأنه من القائلين بوحدة الشهود فحسب، ذلك لأن الغزالي في نص هذا من القائلين بوحدة الوجود، أما ما غرك به الرازي فإنه - كما يظهر مما نقلته أنا لك - بعض كلام من الغزالي فصل بعضه عن بعض، ولم ينقل كل كلامه في الموضوع، وهذا الذي نقلته لك من كلام الغزالي يطيح بالغزالي كحجة للإسلام، ويضعه في جانب ابن عربي.

وإنني - رغم قلة علمي وضعفي - أتحدىٰ من يثبت لنا أن هذا النص محرف، وأنه لا يهدف إلىٰ إثبات وحدة الوجود... ولست أدري لماذا عدت إلىٰ الغزالي؟ إنك يا سيدي تكشف لنا الكثير عن دخائله؛ لأننا نطالع من أجلكم كتبه التي كنا صرفنا النظر عنها، فإن أبيت إلا نقاشًا فيه، فسأذكر عن الغزالي ما يسوء محبيه جدًّا أن يقرأوه، وما لا يستطيعون له ردًّا ولا عن صاحبه دفاعًا... فهل تقرأ يا سيدي ما نقلته أنا في نفس كتاب الغزالي ثم تحدثنا عن رأيك؟ وعلىٰ فرض صحة كلام الرازي كله فهل نصدقه ونكذب رسول الله الذي يقول: «**أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله**»[٢]، فهل الرسول والأنبياء من العوام عند الرازي

---

(١) تأملوا هذا جيدًا يا كرام القراء.

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب: الدعوات، برقم: (٣٥٨٥)، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٢٧٤).

والغزالي؟ وهل يدخل في الإسلام كافر يقول: (لا إله إلا هو) وقد يعني بضمير هو غير الله عزوجل! وهل يقتضي عدل الله أن يجعل توحيده نوعين: يختص العامة بنوع والخاصة بآخر!

أين الدليل الشرعي أو البرهان العقلي، بل حتىٰ الوهمي علىٰ أن لا إله إلا هو أفضل من لا إله إلا الله؟ هأنتذا ترىٰ يا سيد عبد الرحمن أن كلام الرازي علىٰ فرض صحته هو خطأ بل خطيئة...وسنتنزل في الأدلة فنفترض صحة ما ذكر الرازي عن الغزالي وأنه حق في ذاته، فما بالك لم ترد علىٰ ما ذكرته أنا عن الغزالي من حق وصدق تسمونه تهمًا جزافًا؟ هل تتفضل مشكورًا فترد عليها، بل علىٰ بعضها، بل علىٰ واحدة منها؟

دع الغزالي أيها السيد وشطحاته وصوفياته وَافْقَهْ ما جاء به ربك من كتاب وثبت عن رسوله من سنة، بَيِّنْ ما لحق الدين من أساطير وخرافات وبدع كافرة، ولعل كرامة القطب الغزالي تهديك مرة أخرىٰ - كما ذكرت - إلىٰ ما تدافع به عنه، ومرحبًا مرحبًا بكل من يتصدىٰ للدفاع.

والمسألة ليست مسألة الغزالي، وإنما هي مسألة الإسلام الذي سمي هذا الغزالي زورًا حجته، فكان أشد وأنكىٰ حجة عليه... وإني لمبق كثيرًا من المفاجآت الطيبة عن الغزالي لأنصاره لعلهم بها يفرحون.

أما دعوته إياي إلىٰ محرابه السفور وسواه من المنكرات فدعوة أشكره الشكر الخالص عليها، ولكن نحن يا سيدي في ميدان قتال لكل جندي فيه سلاح يدافع به وعدو يقاتله، فهل تريد منا جميعًا أن نجند للسفور؟ ثم ما هو السفور وما أساسه؟ من العجب أن ترىٰ أس البيت منهارًا، ثم تحاول إصلاح زجاجة صغيرة

في نافذة.. متىٰ يستقيم الظل والعود أعوج؟ الأساس أولًا يا سيدي، إن رسول الله ﷺ وهو قدوتنا وأسوتنا وإمامنا وقبل ذلك رسول الله إلينا دعا أول ما دعا إلىٰ عبادة الله وحده لا شريك له في قوم زناة عتاة مرابين وو...ومع ذلك دعاهم إلىٰ التوحيد؛ لأنه الأساس الأول، ومتىٰ استقام استقامت به الأخلاق كلها، وقد تم ذلك علىٰ خير وجه، وكل امرئ يعلم أن هذه المنكرات منكرات، فالمسألة فيها هينة لينة إذا قيست بالشرك المدمر القاتل، بالزندقة التي بثها دعاة الصوفية الفجرة، فهل اقتنعت يا أخي؟ أرجو أن نصل جميعًا إلىٰ الحق؛ والسلام.



فهرس الموضوعات



من إصداراتنا

مجموع مقالات
فضيلة الشيخ العلامة
عبد الرحمن الوكيل

رحمه الله

الرئيس العام لجماعة أنصار السنة المحمدية بمصر

وأستاذ العقيدة بشعبة الدراسات العليا بجامعة أم القرى

بمكة المكرمة

جمعها ورتبها واعتنى بنشرها

شعبان عبد المجيد عباس — **محمد عوض عبدالغني المصري**

من إصداراتنا

طواغيت

لفضيلة الشيخ العلامة

عبد الرحمن الوكيل

رحمه الله

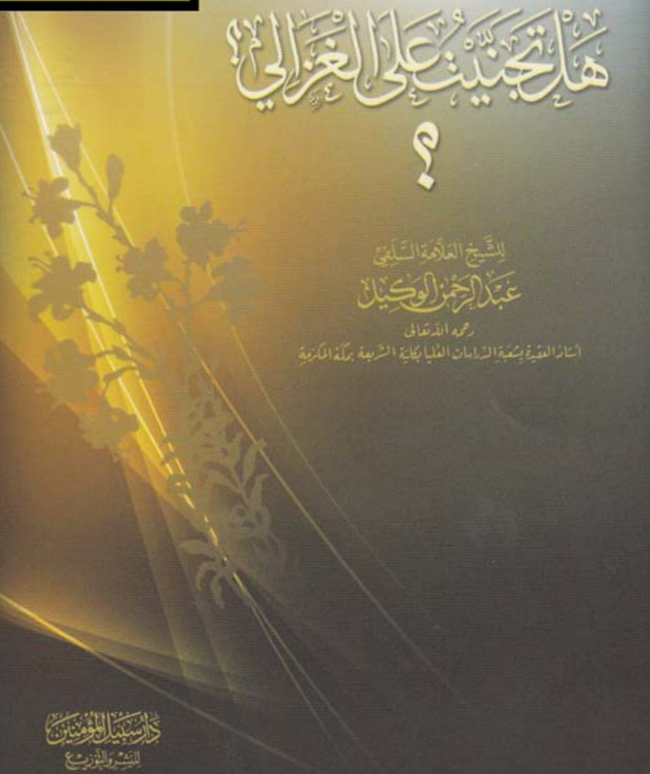
الرئيس العام لجماعة أنصار السنة المحمدية بمصر

وأستاذ العقيدة بشعبة الدراسات العليا بجامعة أم القرى

بمكة المكرمة


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com







عين شمس – القاهرة – جمهورية مصر العربية

جوال / ٠٠٢٠١٠٧٦١٠٠٩٩

www.darsabilelmomnen.com

E-mail : Dar_Sabilelmomnen@yahoo.com

E-mail: Dar_Sabilelmomnen@hotmail.com